TOM AND
DARK LONDON
Telegram:@mbooks90
توم و لندن
المُظلمة
READERS STAR
محمد البداوي

مقدمة

أريد أن أوجّهَ كلمة شكرٍ لكلّ من شجّعني وحثّني على أن أستمرّ في كتابة أول رواية لي في مسيرتي الكتابية، أريد أن أهدي هذه الكلمات لأصدقاء خفرت أسماؤهم في غياهِب قلبي، كلماتهم، تشجيعهم كان مستمرًا من أجل أن أحقق هدفي الذي كان في الأول مجرّد فكرةٍ ظهرت من أعماق دماغي وأفكاري، وكتبت هذه الرواية لسببين هما؛ من أجل أن أبرهن لنفسي أنني قادر على أن أحقق ما أريده رغم الصعوبات والمشاكل، وأيضًا من أجل أن أستمتعَ وأنا أجرّب شيئًا مختلفًا عن باقي الأشياء، لأن الكتابة ليست مجرد موهبة أو هواية بل هي شيء يجعلنا نختفي عن هذا العالم الممل والكئيب، ويفتح لنا عالمًا من الخيال وعالمًا مختلفًا تتحكّم به كما تشاء، وهذه آخر كلماتي لكي أدعك تستمتع في عالم كُتِب بكلّ تفاؤل وحبّ وفخر، إلى اللقاء يا قارئي.

"كل ما ستقرأه الآن ما هو إلا فكرة من

أفكار مراهق يحاول إيصالها لك بكل

طريقة ممكنة ، فإذا لم يعجبك كتابي

هذا فأغلقه وأرجعه مكانه".

الفصل الأول

غيومٌ رمادية كئيبة فوق سماءِ مدينةٍ صاخبة مليئة بالمباني الكبرى، والشوارع المرصوفة بالطوب، والدخان المنبعث من المصانع يخلق في الأفق أبراجًا شاهقة، نعم إنها "لندن" المدينة الكئيبة.

إنه يوم الأحد ونرى في لافتةٍ على الرصيف اسم "شارع فيكتوريا" الممتلىء بالأشخاص الذين يتخللهم الهدوء والأناقة، فهناك نساء يسيرن كالنحل في مجموعات، مرتدين فساتين طويلة مع قبّعات متقنة، وفي الناحية الأخرى نرى رجالًا مع بدلات وقبعات سوداء أو رمادية، بعض منهم نافخ لصدره، وبعضهم تعكس ملامح وجهه ضغوط عمله اليومي. إنها عادة شارع "فيكتوريا" لكل يوم في الساعة الواحدة صباحًا وفجأة وبدون سابق إنذار نرى طفلًا حوالي الرابعة عشر من عمره ذو شعر أسود ساقط على جبهته الصغيرة، كان يجري مرتبكًا ومتوترًا وهو يخرب جموع السيدات الماشيات على الرصيف للشارع.. وعندما قرر الطفل أن ينظر وراءه للحظة، حينها لاحظ بأن الشرطي "فريكسبي" الذي يلاحقه عند الناحية الأخرى من الشارع يبحث عنه، ولعدة ثوان لاحظ الطفل أن الشرطي قد رآه وكانت أفكاره تتشاجر في عقله الصغير لكي يجد حلاً ما ويهرب من هذه المصيبة، نظر توم حوله وهو يلاحظ بعينيه البنيتين أي شيء يكاد أن يساعده على الهرب من الشرطي الغاضب الذي يقترب إليه في كل ثانية، وبعد أجزاء من الثانية رأى الطفل زقاقًا مظلمًا في جانب الشارع وقرّرَ أن عليه الذهاب هناك... وفي لحظة، استجمع الطفل قواه وأخذ يجري بكل تفاؤل حول هذا الزقاق الضيق حتى وصل إلى مدخله، مشى بخطوات سريعة داخله وقلقه وتوتره يرتفعان كلما تعمّق داخل هذا الزقاق المظلم، وأيضًا ترتفع الرائحة العفنة للنفايات المرمية في هذا الزقاق من كل الجوانب. وبعد دقيقة واحدة وكأن دقات قلبه توقفت لثانية رأى الطفل ما يخشاه... فقد وجد بأن نهاية هذا الزقاق مسدودة، وأن هذا حائط لخلفية منزل ما ولكن بدون نافذة. لا مجال له للهرب

الآن، وأن الشرطي سوف يصل له لا محالة.

- ماذا سأفعل الآن؟ ماذا؟!

قال الطفل في داخله بكل فزع وهو يتحقق كل ثانية من الجهة الأخرى للزقاق.. حتى سمع صوت همسات صغيرة قادمة من أعلى الحائط لهذا المكان:

- توم... توم.

نظر "توم" ناحية الهمسات ورفع رأسه الصغير وهو ينظر للأفق وكان لا يرى أحدًا حتى سمع نفس الهمسات مرة أخرى.

- توم.. أنا هنا!

سمع "توم" هذه المرة الصوت بوضوح وعندها نظر إلى تلك الناحية مرة أخرى، رأى شيئًا جعل قلبه الصغير مندهشًا ومبتهجًا.. حينما تأكد بأن من هناك هو آرون صديقه العزيز.

ولكن للحظة سمع صوت أقدام تتضارب مع الرصيف الحجري بقوة وعرف أنه الشرطي "فريكسبي" وأنه قد وصل إليه وسوف يُمسِك به.

- توم.. اقفز وتمسّك بيدي هيا أسرع.

سمع توم صوت آرون المرتفع الممزوج بتوتر وهزّ رأسه مستوعبًا كلام صديقه.. تسلّقَ صندوق النفايات رغم الرائحة العفنة وتمسك بيد آرون الذي كان فوق السقف:

- تمسّك سوف أرفعك للأعلى!

اطمأن توم عندما سمع هذه الكلمات من صديقه ولكنه أحس بيدين كبيرتين تمسكان برجله الصغيرة وتحاول جره للأسفل، التفتَ توم وأكتشف بأن الشرطي أمسك برجله ويجرها وهو يقول:

- لقد أمسكت بك الآن أيها المزعج!

في هذه اللحظة كان توم يترنّح مكانه بجسده محاولًا تخليص نفسه من يدَي هذا الشرطي الغاضب، ولكن وللحظة رأى "توم" زوجًا من الأيدي تحمل عصا في أعلى السقف بجانب آرون وتضرب الشرطي على رأسه بقوة حتى أغمي عليه وسقط على الرصيف الممتلئ بالنفايات. عندها أحس توم بالراحة والفرح مجدّدًا ولكنه أعاد النظر ناحية آرون الذي كان يرفعه إلى السقف.. وبعد ثوان وصل توم للأعلى واكتشف أن من ضرب الشرطي "فريكسبي" كان "لونا" صديقته العزيزة التي كانت ذو شعر برتقالي وعينين خضراوين ترتدي فستانًا مع بنطال أسود وقبعة سوداء متسخة، وتمتلك شامة سوداء على خدها الأيمن.

- شكرًا لكم لإنقاذي هذه المرة.

قال توم وهو يعانق آرون الذي كان ذو شعر أسود وعينين سوداوين ويرتدي بنطالًا أسود بالٍ مع قميص أبيض وقبعة سوداء متسخة مثل توم.

- هل يجب علينا دائماً أن ننقذك أيها الأحمق؟!

سمع توم كلمات لونا التي كانت تخرج من فمها بطريقة مضحكة وهي تصافح توم الذي قال:

- إنه دائماً يلاحقني، كأنني أسرق بنك ما.

ضحكت لونا من مزحة توم وقالت:

- لأنك غبي لا تعرف كيف تسرق شيئًا باحترافية.

حينها تكلم آرون بصوته الأنيق وهو يقول:

- أتفق معك يا لونا، لأنه غبي جدًا!

ضحك آرون بعدها وجعل توم يقول:

- نعم نعم، أنتما أغبياء أيضًا لأنكما أصدقائي.

ضحكت لونا وأيضًا آرون عما قاله توم الذي التفت لينظر إلى الشرطي المغمى عليه في الأسفل بنظرة اشمئزاز.. عندها قاطع آرون هذه اللحظة وقال:

- إنه مغمى عليه، لن يستيقظ الآن.

قال توم ضاحكًا:

- أنا أعرف ذلك، لأن لونا ضربته بقوة.

التفت توم وآرون إلى لونا التي كانت لا تزال واقفة تنتظرهما لكي ينتهيا من حديثهما وقالت بعدها:

- أنا أعلم أني ضربته بقوة، هيا لنذهب.

قال آرون وهو يمشي بجانبها:

- هل سنذهب إلى الحي؟

أجابت:

- نعم يا آرون.

قال توم وهو يلحق بهم مسرعًا:

- أجل، لنعود فأنا فقط أريد أن أتناول الخبز الطازج الذي تعده أمي.

بعدها قال آرون:

- ولكن قبل ذلك علينا أن نؤدي المهمة التي أوكلتها لنا "السيدة آندروميدا".

قال توم وهو يزفر:

- ماذا سوف نجلب لها؟

أجاب آرون:

- أنت تعلم، بعض من احتياجاتها الخاصة كبعض اللحم والأشياء الأخرى.

هز توم رأسه وكذلك لونا التي قالت بعدها:

- هي لنذهب أيها الأحمقان!

ضحك الاثنان على ما قالته لونا وأيضًا على الشرطي الذي ما زال مغمى عليه، بعدها هبطوا للأسفل من الناحية الأخرى لسقف هذا المنزل، وآرون ما زال يقلد طريقة خوف توم المضحكة. بعدها استمر الثلاثة بالمشي باتجاه المكان الذي سوف يؤدون فيه مهمتهم الصغيرة من طرف السيدة "أندروميدا" وهم يتأملون المباني والأشخاص في هذا الشارع وأيضًا كانوا مبتسمين وفرحين لأن "توم" استطاع الهروب من الشرطي، وأيضًا لأنهم سوف يعودون لحي "هولو نايت".

الفصل الثاني

لافتة خشبية قديمة ومتسخة مكتوب عليها "سوق لاياغون". وضجيج الأشخاص والعربات الخشبية التي تعطي صوت صرير مزعج.. في هذا الوقت كان الثلاثة قد وصلوا أخيرًا إلى السوق وهم يتأملون بأعينهم هذه المشاهد... وبعد عدة ثوان التفت آرون إلى توم ولونا وقال:

- لقد وصلنا، سوف نشتري ما طلبته منا السيدة آندروميدا ونذهب.

رمقه توم بنظرة شيقة وهزّ رأسه وتبع آرون إلى المحل المجاور. تقدم آرون إلى باب المحل الخشبي وفتحه، والتفت توم مشيرًا بيده للونا لكي تتبعهم هي الأخرى إلى الداخل.

من داخل المحل كان يظهر طابع محل لحم وقد كان توم ينظر إلى اللحوم المقطعة المرصوفة على الطاولة الخشبية الكبيرة، ورائحة اللحم النيئ تزعج أنفه الصغير قليلًا.. تقدّم الثلاثة إلى الطاولة الخشبية بخطوات تملأها الثقة وهم يبحثون عن صاحب المحل، وعندها سمعوا صوتَ صرير فتح باب من الداخل. ظهر رجل بدين الجسد يبدو على طريقة لباسه أنه صاحب المحل، نظر إليهم بابتسامة عريضة وقال:

- ماذا تريدون يا صغار، لحم بقر أم دجاج أم ماذا؟

نظر توم إلى "آرون" وهمس إليه:

- هل لديك المال الكافي؟

قال آرون بكل ثقة:

- نعم، لقد أعطتني السيدة أندروميدا المال الكافي لشراء كل شيء.

بعدها هزّ توم رأسه مستوعبًا كلام صديقه ونظر إلى الناحية الأخرى من المحل

وشاهد لونا الجالسة على الكرسي الخشبي تنتظرهم متى ينتهون. قرر توم أن يقوم بجولة صغيرة في المحل وكان ينظر إلى الحائط الخشبي المعلق عليه رأس غزال وبعض السكاكين الكبيرة كتذكارات، ونظر إلى الناحية الأخرى ليرى العديد من أجسام الخراف المذبوحة والمسلوخة والمعلقة لكي تجلب المارة خارج المحل... بعدها بثوان أحس توم بيد تمسك بكتفه، التفت ليجد آرون مبتسمًا، والذي قال بعدها:

- هيا لنذهب لقد جلبت بعض اللحم، ولكن ما زال علينا جلب بعض الخبز وبعدها سوف نذهب إلى الحي.

قال توم بعدها وهو متشوق للرجوع إلى الحي:

- إذَن هيا لنسرع فأنا فقط أريد العودة.

مشى توم متبعًا آرون الذي كان يحمل كيسًا ورقِيًا داخله بعض اللحم النيئ، وفي نفس الوقت كانت لونا تسير أمامهم ببطء وهي تتأمل المحلات والبنايات.. بعدها التفتت إلى الاثنين وقالت:

- هيا تحرّكا بسرعة أيها الغبيان!

ضحك توم وجرى ناحيتها وهو يسبق آرون الذي كان ما يزال متشاجرًا مع الكيس الورقي الثقيل وهو يقول:

- انتظراني!

ضحك توم ولونا قليلًا على آرون وأكملا مشيهما متجهين ناحية محل المخبوزات وقد انتظرا آرون جنب باب المحل الذي قال لهما أن لا يدخلا لأنه سوف يعود سريعًا... وبعدها بدقائق معدودة خرج آرون ممسكًا ببعض الخبز وقد قال بنبرة سعيدة:

- الآن بإمكاننا العودة إلى الحي!

استمر الثلاثة بالمشي وهم فرحين ويضحكون مع بعضهم البعض، عندها لمح توم محلًا للحلويات في الجانب الآخر، وابتسم ابتسامة خبيثة والتفت إلى آرون ولونا وقال:

- هل نأخذ شيئًا من هذا المحل؟

قال آرون متعجبًا من كلام توم:

- ولكن ليس لدينا المال لشراء الحلويات.

- أنا لم أذكر شيئًا عن المال!

قال توم وهو يرمق آرون بنظرة شيقة، حينها أستوعب آرون ما كان يعنيه وقال:

- هل تعني أن نسرق شيئًا؟!

قال توم بحماس:

- نعم ذلك ما أقصد! وماذا عنكِ يا لونا؟!

قالت لونا وهي تبتسم:

- أريد ذلك أيضًا، فأنا مشتهية القليل من الحلويات.

- إذَن هيا لنذهب!

سار الثلاثة ناحية المحل وهم يتجاوزون المارة واحدًا تلو الآخر متحمّسين.. وبعد عدة ثوان كانوا أمام باب المحل الكبير، ومن ثم نظروا إلى اللافتة الكبيرة المعلقة على حائط المحل المكتوب عليها "محل هوني دوك للحلويات". تقدم توم وفتح الباب الخشبي وقد شهق الثلاثة من رؤيتهم للحلويات المكونة من أنواع وأشكال وأيضًا كان هناك بعض الأشخاص الذين يشترون بعضًا منها بصفوف

صغيرة داخل المحل المزخرف بطريقة لطيفة من جميع الجوانب... حينها التفت توم ناحية آرون ولونا وهزَّ رأسه معلنًا عن بدء مهمتهم، في نفس الوقت اتجهت لونا ناحية صاحب المحل لتتكلم معه وتلهيه عن الاثنين... وفي الناحية الأخرى من المحل كان توم وآرون يملؤن جيوبهم ببعض من الحلويات ويتلفّتون كل ثانية لكي يروا بأن "لونا" ما زالت تتكلم مع صاحب المحل، بعدها أكمل الاثنان جمع القليل من الحلوى وفي ثوان كانوا خارج المحل. صفّق آرون بيديه قليلًا معلنًا عن انتهاء مهمة لونا التي ألقت التحية على صاحب المحل بسرعة واتجهت مسرعة ناحية الباب ضاحكة وتتبع توم وآرون اللذان كانا يفرغان جيوبهما من الحلوى وهم مبتسمَين ويتذوّقون البعض منها... بعد عدة دقائق وهم يتمشون ويضحكون كعادتهم، توقف آرون ينظر إلى لافتةِ ناحية زقاق ما برهبة، عندها قال توم بارتباك:

- ما بك يا آرون؟

التفت آرون ناحية توم ولونا وقال:

- هذا زقاق "ديغون".

عندما سمع الاثنان هذا الاسم تجمّدا مكانهما وتخللهم الخوف والارتباك... وقال آرون:

- هذا الزقاق اشتهر بالأعمال السيئة والمتاجرة بالأطفال، لذلك علينا أن نذهب من هنا.

استمر الثلاثة بالتحديق داخل هذا الزقاق المظلم والرائحة الكريهة تخرج منه كأنّ لها قرون وهي داخل هذا الزقاق، ولكن بعد ثوانٍ سمِعَ الثلاثة صوت خطوات شخصين على الرصيف الحجري للزقاق، فسارعوا بالاختباء وراء الحائط الذي بجانبهم لكي يروا من سيخرج من الزقاق، وبعد عدة ثوان خرج شخصان أحدهما نحيف الجسم وبارز العينين ويرتدي ملابس رديئة، والآخر ذو جسم

متوسط الحجم وابتسامة عادية وهو ليس مثل صاحبه كان يرتدي ملابس أنيقة وجميلة... وملامح الشخص الآخر توحي بأنه ليس شخص طيّبًا... كان الأصدقاء الثلاثة يراقبونهم بكل تركيز وقد كانوا صامتين مثل بزوغ الفجر، حينها التفت الشخصان لجميع النواحي لكي يتأكّدا بأن لا أحد يراقبهم.. وعندها تكلم النحيل وقال:

- لقد قمنا بإعطاء السيد فيلتون ما يريد يا آرثر.

ابتسم الآخر وقال وهو يقلّب سيجارته بين أصابعه:

- أنا أعلم ذلك، ولكنه قد طلب شيئًا آخر.

- إذًا قل لي ما هو يا آرثر.

قال آرثر بكل ثقة وهدوء:

- فتاة أخرى ولكن صغيرة في العمر و ... أنت تعلم ما أقصد. لقد طلب منّا هذا ولم يقل لنا الأمر.

لم يستطع الثلاثة سماع ما قاله بعدها ولكنهم رأوا غمزة آرثر للرجل النحيف بعدما قال له الأمر.. قال الرجل النحيف:

- لدي شيء آخر، قل لرجال السيد فيلتون يا آرثر، أن عليهم الحذر من شخص أسمه "ليون" فهو مسبّب للمتاعب.

قال آرثر بعدها:

- سوف آحذرهم ولكن لا تنسَ طلب السيد فيلتون فقد يقوم بمعاقبتك إن لم تفعل.

نظر الآخر إلى آرثر وهزّ رأسه متفقاً لما قال وسار مبتعدًا عن الزقاق وهو يلتفت في كل جهة لكي يتيقّن أن لا أحد يراقبه وبعد دقيقة اختفى، ومن ثم

رجع آرثر داخل الزقاق وصوت خطواته يقلّ كلما تعمق داخل الزقاق، وبعد ثوانٍ لم يَعُدِ الثلاثة يسمعون صوت خطواته، حينها خرج توم الذي كان ينظر نحوه لكي يتأكد بأنه قد ذهب. حينها التفت ناحية صديقيه وقال:

- هيا اخرجوا فقد ذهب.

همّ آرون ولونا بالخروج من مكانهما فور سماعهما كلمات توم، وحينها تكلم توم وهو لا يزال خائفًا مما رأى وسمع:

- مَن السيد فيلتون يا آرون؟ ومَن ليون؟ ولم أستطع سمع ما قاله جيّدًا.

التفت آرون ناحية توم وقال:

- أنا لا أعلم يا توم ولكنه ليس شخصًا طيّبًا، أما عن ذلك الشخص المسمى ليون فأنا لا أعلم عنه شيئًا.

حينها قاطعته لونا وقالت:

- ربما هو قائدهم أو شخص من الأثرياء الحقيرين! والشخص الآخر ربما سارق يحبط أعمالهم أو محقق ما.

قال آرون بعدها بتوتر:

- هيا علينا الذهاب من هنا الآن، لأن الليل سيحل قريبًا.

هز الاثنان رأسيهما وتبعا آرون الذي كان يقودهما بعيدًا عن هذا الزقاق السيئ. وبعد دقائق كانوا قد ابتعدوا عن هذا الزقاق المريب وقد كانوا يقتربون من زقاق أو حي "هولو نايت". كان الثلاثة متشوقين ولا زالوا خائفين قليلًا ويريدون فقط الوصول إلى زقاق "هولو نايت" لكي يخبروا "هاري" بكل ما رأوا وسمعوا بالقرب من مدخل زقاق "ديغون".

بعد دقائق وصل الثلاثة إلى مدخل الحي وقد كانوا فرحين ومشتاقين للحي

لأنهم وأخيرًا رجعوا ولا يزالون مرتعبين قليلًا ممّا رأوه سابقًا. لكن كل هذه الأحاسيس السيئة تلاشت عندما دخلوا إلى الحي، فقد كان القمر يلقي ضوءه الخافت على الطريق المرصوفة بالحصى، والمنازل المطليّة بلون واحد كئيب. ورغم أن هذا الحي غير مهذب وهناك نفايات ملقية على الأرض هنا وهناك؛ إلا أن العديد من المنازل هنا تظهر عليها علامات الاهتمام... كان الثلاثة يمشون داخل الحي وهم يرون النباتات الصغيرة تنمو من النوافذ على طول جوانب المنزل، وتحمل الريح رائحة الخبز الطازج.

والطعام داخل بعض المنازل. كان توم يرى بين الحين والآخر الناس من نوافذ منازلهم، أحد يطبخ شيئاً ما والآخر يصرخ على أطفاله... كان هذا هو طبع الحياة في لندن، توقّف الثلاثة ناحية منزل صغير يبدو عليه طابع الاهتمام والأناقة رغم قِدمه. كان توم يعرف هذا المنزل جيّدًا فقد كان منزل "السيدة أندروميدا". تقدم توم وآرون تاركين لونا خلفهما. طرق توم على الباب الخشبي والابتسامة تكاد تشق وجهه، فبعد ثوان عدة سمعوا صوت خطوات بطيئة قادمة ناحية الباب. فتحت السيدة أندروميدا الباب، لقد كانت سيدة عجوز في الستين من عمرها ترتدي فستانًا قديمًا وتتخلل وجهها ابتسامة حنونة وقالت بهدوء:

- مرحبًا يا صغار، أظن أنكم جلبتم لي ما طلبت.

قال توم بعدها:

- نعم، لقد جلبنا كل شيء.

ثم بعد ذلك أعطى آرون وتوم الأكياس للسيدة أندروميدا باحترام وقالا ومعهم لونا كذلك:

- ليلة سعيدة يا سيدة أندروميدا!

بعد ذلك قاطعتهم السيدة أندروميدا وقالت:

- لن ترحلوا قبل أن تأخذوا هذا مني.

أخرجت السيدة أندروميدا القليل من المال وأعطت قرشًا لكل واحد منهم وقالت:

- ليلة سعيدة يا صغار.

ردّ الثلاثة نفس الكلام عليها وقد كانوا فرحين بما أعطتهم السيدة أندروميدا. وبعدها قال توم لآرون ولونا:

- الآن علينا الذهاب إلى هاري.

هزّ الاثنان رأسيهما باتفاق واتجها برفقة توم ناحية منزل هاري. بعد دقائق كان الثلاثة الآن داخل منزل هاري القديم كعادة منازلهم، وكانوا جالسين على الأريكة المريحة... وبعد ثوان معدودات عاد هاري إلى غرفة المعيشة وجلب معه القليل من الشاي. كان هاري أخضر العينين وذو شعر أسود قصير وكان يرتدي بدلة سوداء متسخة وقبعة قصيرة وقال وهو يجلس متقابلًا معهما:

- الآن أخبراني بما رأيتماه.

قرر توم الكلام أولًا وقال:

- لقد رأينا شيئًا خطيرًا في زقاق ديغون.

اتسعت عينا هاري بعد سماعه لكلام توم وقال:

- كيف ذهبتما هناك؟! لقد حذّرتكم ألف مرة ألّا تقربا ذلك المكان.

قاطعه آرون وقال:

- لقد كنا هناك بالصدفة يا هاري، لم نعلم أننا بالقرب منه حتى وجدنا أنفسنا هناك.

قال هاري بعدها:

- تكلم يا توم، ماذا رأيتم هناك؟

بعدها أكمل توم الكلام لهاري. وبعد دقائق كان قد انتهى وكان هاري ما يزال مصدومًا مما سمعه وقال:

- لا تعودا هناك، إنّه مكان خطير جدًا.

قررت لونا الخروج من صمتها وقالت:

- لن أدع هذان الغبيان أن يذهبا إلى هناك مجدّدًا.

قال توم وهو ينظر إلى لونا:

- ولكن فقط أريد أن أعرف من السيد فيلتون وذلك المدعو ليون؟

قاطع هاري توم وقال:

- من الممكن أنهما شخصان من عصابة ما أو شخصان خطيران.

قاطعت لونا هاري وقالت:

- لا، فذلك المدعو ليون يبدو غريبًا عليّ فقد سمعت ذلك الشخص يقول أنه يُسبّب لهم المتاعب.

قال آرون:

- ربما هو سارق أو محقق ما كما قالت لونا.

قال توم وهو ينظر إلى الساعة على الحائط:

- علي أن أعود للمنزل الآن، فأنا قد تأخرت.

قال آرون:

- مع السلامة يا توم، سوف نراك غدًا.

قال توم:

- مع السلامة.

قام توم وبعد ثوان كان خارج منزل هاري. سار وحيدًا داخل الحي وهو يدندن بأغنية ما ويركل العلب الملقية على الأرض بكل قوة وسعادة، وبعد لحظات كان أمام باب المنزل وهو يشم رائحة الطعام المنبعثة من داخل المنزل وصوت أخيه الصغير يلعب فيه... طرق توم الباب وقال:

- لقد عدت، أفتحي الباب يا أمي!

سمع توم صوت فتح الباب ورأى أمه وهي تحمل أخاه الصغير... كانت ذي شعر أسود مثل توم وتملك نفس عينيه وكذلك أخاه الصغير الذي كان فرحًا بعودة أخيه وقالت مولي:

- لقد عدتَ أخيرًا! ادخل فإن العشاء جاهز.

دخل توم إلى المنزل، لقد كان الجزء الداخلي من المنزل مكانًا صغيرًا وجذابًا، الجدران مصنوعة من ألواح خشبية مطلقة باللون البني، والأثاث بسيط ولكنه جيّد الصنع ومهترئ قليلًا مع كراسي قليلة وطاولة صغيرة الذي جلس فيها توم وهو يلعب مع أخيه وينتظر متى تحضر أمه العشاء، كانت تشتعل نارٌ دافئة في المدفئة مما يوفّر بعض الدفء الذي تشتد الحاجة إليه في هذا الطقس الذي كان يقترب من حلول فصل الشتاء ورائحة الخبز الطازج المنبعثة من المطبخ جعلت توم متحمّسًا. بعد دقائق جلبت مولي العشاء وجهزته فوق الطاولة وجلست بعدما أجلست رون فوق كرسيه الصغير وقالت وهي توزّع الأكل على توم ورون:

- أخبرني كيف كان يومك يا توم، هل تسبّبتَ بالمتاعب مجددًا؟

توقف توم عن الأكل وأخذ يفكر إن قال لأمه عن ما حدث في زقاق ديغون

فسوف توبخه وبعد ثوان قرر توم الكلام وقال:

- لقد كان يومًا جيدًا ومملًا وقد كنت مع آرون ولونا بعد العمل.

ابتسمت مولي وقالت بعدها:

- هذا جيد، المهم أنك لم تتسبب بالمتاعب كعادتك، فأنت تشبه أباك في هذا!

عندما سمع توم هذه الجملة تذكر أباه وقال:

- متى سوف يعود أبي من عمله؟

تنهدت مولي وقالت:

- لقد أرسل رسالة وقال إنّه سوف يعود عند أقتراب الكريسماس.

قال توم بعدها وملامحه توحي بأنه حزين نوعًا ما:

- هذا يعني أنه سوف يعود بعد ثلاثة أسابيع؟

هزت مولي رأسها وقالت:

- نعم، والآن تناول طعامك وبعدها اذهب لكي تنام.

هزّ توم رأسه واستمر في تناول طعامه الشهي وهو يبتسم إلى أخيه الصغير.
بعد دقائق كان توم قد أنتهى من الأكل وقام من الطاولة وقال:

- ليلة سعيدة يا أمي حتى أنت يا رون.

قالت مولي وهي تقبّل خدّي توم:

- ليلة سعيدة يا بني.

توجه بعدها إلى غرفته الصغيرة التي كنت كأنها جزء مصغر من المنزل، لم تكن غرفة توم مرتّبة ولكن كانت جميلة نوعًا ما رغم صغرها. بعدها توجه إلى سريره

واستلقى عليه واضعًا رأسه على الوسادة المريحة وهو يفكّر في عمله غدًا في محل السيد ويليام، ثم بعد دقائق كان توم نائما ويغوص في عالم أحلامه.

الفصل الثالث

قطرات مطر خفيفة تتضارب مع الرصيف الحجري بلطف، والضباب منتشر في أرجاء لندن، والنجوم غير مرئية بسبب الغيوم الرمادية الكبيرة، كان الجو باردًا والناس نيام، إنه منتصف الليل في لندن الآن ولكن مع كل هذا نرى لافتة زقاق ديغون القديمة، وبين كل هذا نرى شخصًا ذو شعر أشقر قصير يجري داخل الزقاق بسرعة ومعطفه الأسود يلوح في كل جهة بسبب الريح القوية، ظل الشخص يجري وهو يلتفت للجهة الأخرى يبحث عن مخبئ بسرعة، حتى وجد مدخلًا في الزقاق وأختبأ هناك حتى سمع صوت الذين يلاحقونه:

- ابحثوا عنه، لا تدعوه يهرب.

عندما سمع هذه الكلمات لم تبدُ عليه علامات الخوف أو الارتباك بل كان يبحث عن مخرج بكل هدوء حتى رأى شيئًا يمكن أن يساعده في الهرب، قفز ناحية صندوق القمامة وأمسك بيديه على الحائط لكي يتسلق ويصل إلى السلم الحديدي، كان يكافح لكي يصل هناك وبعد ثوان قليلة كان يتسلق إلى السطح بسرعة، وصل هناك وهو يتنفس بثقل وأكمل جريه بين أسطح المباني وهو يرى في الأسفل أنهم ما زالوا يبحثون عنه، حتى أحس بأن شيئًا ما دفعه ليسقط على السطح، أدار وجهه بسرعة ليرى شخصًا من رجال السيد فيلتون الذين يلاحقونه، وقد كان فوقه يحاول خنقه بيديه قائلًا:

- الآن سوف تموت أيها المحقق ليون!

خنق الشخص ليون وكان ليون تحته يترنح، أدار عينيه قليلًا ليلمح زجاجة على الأرض بجانب يده، أمسكها بكل صعوبة وهو يحاول التنفس ويرى بأن الشخص ما يزال يخنقه، رفع ليون يده وطعن خد الشخص بقوة، أطلق الشخص صرخة مدوية من الألم وسقط على الأرض ممسكًا خده متألمًا ينزف. قال ليون وهو يتنفس بصعوبة وينهض من على الأرض:

- قل لسيدك الحقير أني قادم من أجله.

ضرب ليون الشخص بركلة على وجهه ليفقد وعيه، وأكمل ليون جريه وهو يقفز من بين السطوح.. وبعد ثوان كان قد اختفى بين الضباب.

استيقظ توم في اليوم التالي على أصوات العصافير بالخارج وأصوات كلاب الحي المزعجة، قام توم من فراشه وارتدى ملابسه بسرعة وهو يطلّ من نافذة غرفته على بعض الناس الذين كانوا يمشون بخطوات سريعة، كان متحمسًا لأنه سيقابل السيد ويليام من جديد. سمع صوت أمه تناديه من الأسفل لكي يتناول الفطور وبعد ثوان كان توم الآن في غرفة المعيشة، جلس على كرسيه الخشبي مقابلًا أمه التي كانت تحضر الفطور في المطبخ وتدندن أغنية ما... قال توم بعدها:

- صباح الخير، هل رون ما زال نائمًا؟

التفتت مولي وهي تبتسم لأبنها ابتسامة عريضة وتقدم الطعام على الطاولة:

- نعم ما زال نائمًا. لقد كان متعبًا من اللعب.

ابتسم توم وبدأ يتناول فطوره وهو يتكلم مع أمه عن السيد ويليام وعن عمله معه. مرت دقائق ودقائق ونظر توم إلى الساعة فوجد بأنها الساعة الثامنة وأن عمله سيبدأ عند الساعة التاسعة، نهض من الطاولة بعد أن أكمل فطوره وتوجه إلى مكان لكي يقوم بارتداء حذائه، جلس على الأريكة وهو يرتدي حذاءه وما زال متحمسًا للذهاب لعمله. تذكر توم أخاه الصغير وجرى بهدوء ناحية غرفة رون، فتح الباب وتوجه ناحية سريره وقبّل جبهته وابتسم بعدها أقفل الباب وراءه. بعد ثوان كان خارج المنزل ومولي تمسح على وجهه، قبّلت خده وقالت:

- لا تتسبب بأي متاعب يا توم، كن طفلًا طيبًا.

قال توم هو يبتسم:

- لا تقلقي كثيرًا يا أمي، لن أقوم بأي شيء غبي.

ضحك توم وسار مبتعدًا عن المنزل والتفت مجددًا ليجد أن أمه ما تزال واقفة ناحية الباب وتبتسم وهي تودعه. كان توم الآن خارج حي "هولو نايت". وكان يسير بهدوء وهو يرى الناس، أحدهم يمشي سريعًا من أجل أن يلتحق بعمله وآخر تبدو عليه علامات الغنى والتكبر يمشي نافخًا صدره كأن ليس له مثيل! كان توم ينظر إلى مثل هؤلاء الأشخاص بنظرة اشمئزاز وكان لا يحبّ مثل هؤلاء الأشخاص لأن من لا ينظر إلى ما أقل منه بنظرة طيبة لن يستمر في غناه ولو كان له مال الدنيا. ولكن سرعان ما لاحظ توم أنه الآن قريب من الوصول إلى المحل وتخللته السعادة والفرح. استمرّ بالمشي وهو يرى أنه الآن داخل السوق، كان يرى بعض الأطفال الذين هم أصغر منه يتسوّلون، وبعض منهم يبيع أشياء بسيطة مثل مجلات الأخبار أو أشياء بسيطة... كان توم ينظر ناحيتهم بلطف ولكنه سرعان ما استمر بالمشي وقد لاحظ لافتة "محل ويليام لتصليح الأحذية". وهنا فرح توم لأنه الآن قد كان بجانب المحل. فتح توم الباب الخشبي للمحل ودخل وهو ينظر في جوانب المحل ويبحث عن السيد ويليام.. بعدها تأكد توم أن ربما السيد ويليام ذهب ليجلب شيئًا ما من السوق وقرر أن يبدأ عمله. كان يخرج الأحذية التي تحتاج للإصلاح من مكانها ويقوم بترصيفها على طاولة العمل على شكل مجموعات، وأيضًا كان يجلب الأشياء التي يحتاجها السيد ويليام لكي يقوم بإصلاح الأحذية ولكن عندها سمع توم صوت شخصان يتكلمان في مكتب السيد ويليام تذكر أنه لم يبحث هناك أو يطرق باب المكتب فربما أن السيد ويليام هناك. أفرغ توم يديه مما كان يحمل وتوجّه ناحية مكتب السيد ويليام وطرقَ الباب بهدوء وقال:

- يا سيد ويليام! إنه أنا توم، لقد جئت للعمل.

وقف توم بعدها وهو ينتظر السيد ويليام لكي يفتح الباب ولكن بعد ثوان فتح

الباب شاب في العشرينات من عمره يمتلك عينين بنيتين كعيني السيد ويليام، وذو شعر قصير أشقر يرتدي بدلة توحي بأنه محقق ما... نظر توم إلى الشاب ورفع حاجبه بتعجب وقال:

- هل يمكنني الدخول؟

قال الشاب بابتسامة عريضة:

- نعم بأمكانك الدخول، تفضل.

تنحى الشاب جانبًا لكي يدع توم يدخل إلى المكتب. ابتسم توم ودخل ليجد السيد ويليام جالسًا على كرسيه وقد كان شخصًا طيبًا من ابتسامته وكان يشبه الشاب الذي فتح الباب لتوم تمامًا. تبسم السيد ويليام وقال لتوم:

- أهلا يا توم، لقد جئت مبكرا اليوم.

قال توم وهو ما يزال واقفًا:

- نعم لقد اختصرت الطريق اليوم، فقد كنت متحمسًا.

كان توم لا يزال يرمق الشاب بنظرة كل ثانية وما زال متعجبًا لأنه يراه لأول مرة، وكذلك يبدو مثل السيد ويليام. لاحظ السيد ويليام النظرة على وجه توم وقال بعدها:

- أريد أن أعرفك على شخص ما يا توم، هذا الشاب ابني ليون وأعلم أنك تراه لأول مرة لأنه لا يزورني كثيرا.

أدار توم رأسه ناحية ليون وصافحه بابتسامة وفي نفس الوقت تذكر أنه سمع هذا الاسم في زقاق ديغون البارحة وقال:

- تشرفت بمعرفتك.

قال ليون بابتسامته الرائعة:

- وأنا أيضًا يا توم، لقد أخبرني أبي عنك كثيرًا.

قال السيد ويليام لتوم بعدها:

- أعلم أنني لم أخبرك يومًا أن لدي ابنًا، لأن ليون قليل الزيارة لي.

هزّ توم رأسه وقال:

- نعم، فأنا لم أرَه هنا من قبل ولكن لقد تعرفت عليه الآن، وبالمناسبة هو يشبهك كثيرًا.

ضحك السيد ويليام وكذلك ليون الذي نهض من كرسيه وأخذ قبعته وقال:

- يجب علي الذهاب الآن يا أبي.

قال السيد ويليام وتبدو عليه ملامح الإحباط:

- العمل مجدّدًا؟

تنهد ليون وقال:

- نعم أنت تعلم أني أريد البقاء قليلًا ولكن لا يمكنني.

هز السيد ويليام رأسه بتفهم وقال:

- وداعًا، ولكن قم بزيارتي في المرة القادمة يا بني.

قال ليون وهو يخرج من الباب:

- بالتأكيد سوف أقوم بزيارتك يا أبي، ويا توم أعتني بأبي وقت غيابي.

ابتسم توم لليون الذي خرج من المحل مسرعًا وسرعان ما اختفى بين المارة.

استمر توم بالعمل مع السيد ويليام هنا وهناك يساعده في تصليح الأحذية،

مرة يجلب الأحذية التي تحتاج للإصلاح لكي يمدها للسيد ويليام أو يقوم بإعطاء الأحذية للعملاء الذين يدخلون المحل بعدد قليل.. بعد وقت طويل وممل من نفس العمل كان توم ما يزال يشتغل حتى سمع باب المحل يفتح من جديد، لم يعطِ اهتمامًا كبيرًا على من فتح الباب ظنًّا منه أنه عميل ممل آخر، حتى سمع صوت هاري وهو يقوم بتحيّة السيد ويليام.. التفت ناحية هاري وهو يراه يحمل معه قطًا ما، تعجّب من هذا وقال:

- أهلا يا هاري، من أين قمت بجلب هذا القط؟

ضحك هاري ورمق القط المسترخي بين يديه بنظرة سريعة وقال:

- لقد وجدته في الطريق ناحية شارع فيكتوريا وقررت أنه سوف يصبح صديقي الجديد، لأن كما تعلم في أوقات عملي أمي تكون وحدها في البيت فقررت جلب قط لها لكي لا تحس بالملل في غيابي.

قال توم وهو يهزّ رأسه متفهمًا رأي هاري:

- ماذا ستسميه؟

نظر هاري إلى القط لوقت لا يضاهي عشر ثوان ونظر إلى توم ثانية بابتسامة عريضة وقال:

- سوف أقوم بتسميته "جايك".

قال توم:

- اسم جميل، لقط غبي!

ضحك هاري على ما قاله توم وقال:

- هيا لنذهب الآن.

بعد ذلك ذهب توم سريعًا وخلع قفازات العمل واستشار مع السيد ويليام لكي

يذهب الآن وبما أن السيد ويليام شخص طيّب تركه لكي يذهب برفقة هاري، كان هاري بالخارج ينتظر توم لكي يقوما بالتوجه إلى الحي من جديد.. مرت ثوان حتى خرج توم وقال لهاري الذي كان يميل إلى الحائط وما زال يحمل قطه:

- أنا مستعد للذهاب يا هاري.

ابتسم هاري ومشى برفقة توم. بعد دقائق قليلة كان توم وهاري في شارع فيكتوريا وكانا يتكلمان ويضحكان.. كان هاري لا يزال يحمل جايك بين يديه وقال توم:

- هل تظن أن آرون ولونا سيحبان جايك؟

قال هاري وهو يمسح رأس جايك:

- بالطبع لأن جايك قط مطيع والجميع سيحبه رغمَ أنه غبي قليلًا.

ضحك توم وفرك جبهة جايك واستمر بالسير رفقة هاري وهما يحدقان بالعامة، وعند اقترابهم من نهاية شارع فيكتوريا وقرب زقاق ديغون رأى توم وهاري أن هناك عربة تقترب ناحيتهم وكان السائق يحاول السيطرة على الحصان لكي لا يصدم أحدًا ما ولكن سرعان ما كانت العربة بجانب هاري وارتفع الحصان بقوائمه الأمامية مرتعبًا وقد يضرب من أمامه، ولكن هاري كان سريع البديهة وقفز للوراء.. وفي نفس الوقت هرب قط هاري باتجاه زقاق ديغون وكان القط مرتعبًا مما حدث، كان توم يتفقد هاري بقلق وهو يقول:

- هل أنت بخير يا هاري؟!

لم يجب هاري على سؤال توم ولكنه نهض من الأرض وجرى ملاحقًا جايك الهارب ناحية زقاق ديغون. كان هاري يقول لتوم الذي كان ما يزال مصدومًا وراءه:

- لقد هرب جايك!

سمع توم ما قال هاري وسرعان ما لحق به مسرعًا وهو ينظر في جميع الاتجاهات ربما يرى جايك. بعد دقائق من اللحاق به والبحث وظهور الإعياء الواضح على هاري وتوم اللذان كانا يلهثان وقد كانا الآن داخل زقاق ديغون... استمر الاثنان بالمشي وهما يراقبان جوانبهما وهما خائفان من أن يراهما أو يمسكهما أحد ما، لمح توم بعض القطط التي كانت متوجهة للقمامة المرمية بجانب الحائط الذي كان بجانبهم وتوجّه توم ناحيته وهو يسمع هاري يهمس له:

- عد هنا يا توم لا تذهب وحدك.

لم يعطِ وجهًا لكلامه... ولكنه استمر بمرافقة القطط لعله يجد جايك معها. تبعه هاري كذلك لأن لا حل له، وبدأ الاثنان بتفتيش جانب ذلك المكان لعلهم يجدون جايك مختبئًا هناك. وبعد ثوان قال هاري:

- لعله ليس هنا يا توم، أظن إنّه ذهب.

لاحظ توم الحزن على وجه هاري ولكنه أراد أن يجعله لا يفقد الأمل بقوله:

- لا، من الممكن أنه مختبئ هنا في مكان ما.

تبسم هاري لكلام توم رغم الحزن الواضح عليه وتوجه ناحية مكان آخر ليكمل بحثه عن قطه، ولكن فور أن بدأ بالمشي سمع صوت مواء قطّ في الجانب الآخر، التفت هاري ناحية توم وقال:

- هل سمعت هذا؟

هزّ توم رأسه وبدأ بالركض مع هاري باتجاه ذلك المكان الذي سمعا منه الصوت... وبعد ثوان قليلة كان الاثنان هناك. بدآ بتفتيش المكان ثم التفت هاري ناحية توم وهو يحمل جايك وعلى وجهه ابتسامة كبيرة وقال:

- لقد وجدته يا توم!

التفت هاري ناحيته مبتسمًا. ربّت على رأس القط قائلًا:

- أنت قط مشاغب وغبي! لقد هربت بمجرد خوفك من حصان ... يا لك من جبان!

ضحك هاري رفقة توم ولكن توقف هاري عن الضحك وكان ينظر وراء توم برعب وعيناه تقول أن شيئا ما وراءه. فور التفات توم وجد بأن نفس الشخص الذي رآه بزقاق ديغون ذلك اليوم هو نفسه الآن بنحافته ووجهه غير الوسيم، أمسك الرجل النحيف بتوم من عنقه ورفعه للأعلى، كان توم يحاول الإفلات منه ولكنه كان يخنقه بقوة كل ثانية... حاول هاري مساعدة صديقه بضرب الرجل ولكن الشخص الآخر الذي كان معه دفع هاري لكي يسقط أرضًا متألمًا، قال الرجل النحيف مبتسمًا ابتسامة خبيثة:

- تظن أنني لم أرَك البارحة؟! أنا أعلم أنك سمعت كل شيء ولكن للأسف سوف تموت اليوم.

ولكن فور أن أنهى كلامه رأى الرجل النحيف بأن شخصًا ما ضرب صديقه وأسقطه أرضًا مغشيًا عليه، نهض هاري وتوجه ناحية الحائط وقد كان خائفًا من هذا الشخص، ولكنه لم يتوجه ناحية هاري بل ناحية الرجل النحيف الذي أفلت توم لكي يسقط أرضًا وهو يحاول التنفس بقدر ما يستطيع، حاول الرجل النحيف الهرب ولكن الشخص أمسكه ووجه له لكمتين على وجهه وركلة بجانب ركبته لكي يسقط جاثيًا على ركبتيه وهو يتألم وينظر ناحية ذلك الشخص الذي كان لا يرى بسبب الظلام، لكن سرعان ما اتسعت عيناه برعب بعد أن رأى وجه الشخص وقال بخوف:

- المحقق ليون! أفلتني أرجوك، دعني أذهب!

نظر إليه ليون بنظرات مرعبة وقال وهو لا يزال يمسكه من بدلته:

- أخبر سيدك أنه لن يفلِت مني، حتى لو اختبأ تحت الأرض.

دفع ليون الرجل النحيف برجله والذي نهض وجرى مسرعًا داخل الزقاق ويلتفت ناحية الثلاثة بخوف كل مرة، التفت ليون ناحية توم وهاري لكي يجد توم يعانقه بفرح ويقول له بابتسامة عريضة:

- شكرًا يا سيد ليون على إنقاذي، شكرًا جزيلاً!

قال ليون بهدوء:

- لا بأس يا توم ولكن أنتما الاثنان سوف تشرحان لي ماذا تفعلان هنا في هذا الوقت؟!

نظر توم ناحية هاري الذي هزّ رأسه بسرعة وما يزال يحمل جايك بين يديه، سكت قليلًا وبدأ بالكلام:

- لقد كنا متوجهين للحي برفقة قط هاري ولكن كانت هناك عربة لم يستطع سائقها التحكم بها وكاد حصانها أن يضرب هاري وقطه، ولكنه نجا وقطه دخل إلى هنا ونحن تبعناه لكي نبحث عنه، وقد وجدنا ذلك الحقير هنا ثم أتيت أنت ... هذا كل شيء.

سكت ليون قليلًا ثم ضحك وقال:

- كل هذا من أجل قط؟! لا بأس إذَن ولكن عليكما الرجوع إلى بيتكما الآن.

هزّ توم رأسه وجرّ هاري من يده لكي يذهبا ولكن هاري توقف وكأن لديه شيء يقوله وتكلم:

- ولكن ماذا تفعل أنت هنا، في هذا المكان؟

قال توم بعدما سمع كلام هاري:

- أنه محقق وهذا جزء من عمله يا غبي!

قال هاري وهو يدفع توم:

- لا تنعتني بالغبي أيها أحمق! لم أكن أعلم ذلك.

حاول توم وهاري التشاجر فيما بينهما ولكن أوقفهما ليون وهو يضحك على تصرفهما وقال:

- توقفا يا صبيان، سوف أقول لكما كل شيء ولكن اصمتا من فضلكما.

سكت توم وهاري وهزًا رأسيهما باتفاق مع كلام هاري. حاول جايك المواء ولكن أسكته هاري بوضع يده على فمه انتظارًا لكلام ليون:

- لقد كنت أبحث عن أي دليل يوصلني إلى ذلك الحقير المدعو "فيلتون" ولكني لم أجد شيئًا وأنا أحقق في هذه القضية منذ شهر، لقد كانوا يختطفون الأطفال في مثل عمركم كل يوم، ولكن للآن لا أعلم أين يذهبون بهم أو ماذا يفعلون لهم.

تكلم توم بعدها وهو منصدم مما سمع:

- ولكن هل سوف تمسك بهم؟

- لا أعلم ذلك بعد، إنها قضية صعبة.

تكلم هاري بعد أن أفلت من جايك الذي جلس بين رجليه:

- هل يمكننا الذهاب الآن يا سيد ليون؟

- نعم يمكنكما الذهاب ولكن احذرا من العودة إلى هنا، وإن رأيتما أي شي أخبراني. توم أنت تعلم أن أبي سوف يخبرك عن بيتي عندما تحتاجني، والآن سوف أرافقكما خارجا.

مشى الثلاثة خارج زقاق ديغون وكان توم فرحًا بعد إنقاذه من طرف ليون، وهاري كذلك لأنه وجد قطه جايك، وكان الاثنان مستعدان لكي يعرّفا جايك على لونا وآرون وأيضًا ليقولا لهما عما حدث لهما في زقاق ديغون وكيف قابلا ليون.

الفصل الرابع

بعد أن عاد توم وهاري للحي، وكانوا بجانب مدخله كان قد تبقى ساعتين لمنتصف الليل وقد كانا لا يزالان متحمسان لإخبار لونا وآرون عما رأياه، أتجه توم برفقة هاري لمنزل آرون وبدأوا بالطرق على باب منزله ولكن لم يجبهم أحد وقد كانا قلقان نوعا ما وقد قالا ربما يكون برفقة لونا الآن لأنهم لم يكونا بالحي لذلك سيكون يتسكع برفقتها أو شي من هذا القبيل، كان توم وهاري في طريقها لمنزل لونا لما التقيا بأحد جيرانهم الذي كان واضح عليه علامات الخوف والحزن من وجهه، تشجع توم لكي يسأل الرجل وتفوه قائلًا:

- ما بك يا سيد أوريليوس، هل هناك خطب ما؟

نظر السيد اوريليوس اتجاه توم ولكنه ظل صامتا لفترة ينظر للأرض ثم رفع رأسه بحزن ليقول:

- إن صديقكم آرون مع أمك بجانب بيتك يا توم، لقد سمعت أخبارا بأن صديقتكم قد تم اختطافها من طرف أشخاص مجهولين.

عند سماع توم وهاري لما قاله السيد اوريليوس توقف قلبهما عن الخفقان بسبب الصدمة وظلّا ينظران لبعضهما البعض غير قادرين على الكلام، ولكن كأن شيئا صفعهما عندما سمعا صوت السيد أوريليوس مرة أخرى الذي كان يمشي مبتعدا وهو يقول:

- أبناؤنا في خطر، في خطر كبير!

تذكر توم أن السيد اوريليوس قال له بأن آرون بجانب منزله وهذا يعني أنه ينتظرهما هناك، استيقظ توم من صدمته ونظر إلى هاري ونطق قائلًا:

- هي لنذهب علينا معرفة كيف حدث كل هذا.

Telegram:@mbooks90

هز هاري رأسه بحزن وهو لا يزال حاملا قطه جايك الذي كان ينظر إلى هاري بصمت، جرى توم ناحية بيته ووراءه هاري الذي كان يجري بكل قوة محاولا ملاحقته، بعد ثوان عدة كان توم بقرب بيته وقد شاهد بأن أمه مولي جالسة مع آرون بجانب باب المنزل على الرصيف، وقد لاحظ توم بأن آرون يبكي، وصل توم ناحية الباب وهاري ورائه ثم رأته مولي وعانقته بقوة وقالت:

- أين كنت يا توم لقد كنت قلقة عليك، لا تتأخر هكذا مرة أخرى!

تجاهل توم كلام أمه فقد كان كل اهتمامه الآن ما السبب في اختطاف صديقته؟ وهل هذا الموضوع حقيقي من الأساس أم لا؟ تقدم هاري ناحية آرون الذي كان يبكي ويقول:

- أنا السبب، أنا السبب لم أستطع إنقاذها!

جلس هاري بجانب آرون وكذلك توم الذي مسح على ظهر آرون لمواساته رغم حزنه هو الآخر على لونا وقال:

- ماذا حدث أخبرنا بكل شيء يا آرون، نريد أن نعرف ماذا حدث.

قال هاري هو الأخر:

- نعم أخبرنا يا آرون عن ما حدث.

كانت مولي ورائهم وقد ذهبت الى الداخل لتعود وهي تحمل رون الصغير بين يديها وكانت مستعدة لسماع ماذا حدث في هذا اليوم المشؤوم، صمت آرون قليلًا ورفع نظره من الأرض باتجاه توم وهاري ومسح عيناه من الدموع وقال:

- لقد كنت برفقة لونا قبل نصف ساعة، لقد كنا نتسكع منتظرين مجيئك يا توم ولكن بعد أن كنا عائدين للحي توقفت سيارة بجانبنا، لقد ظننت أنها الشرطة ولكن خرج شخصان منها وقاموا بضربي لكي أسقط على الأرض وفي نفس الوقت قاموا بأخذ لونا معهم، لم أقدر أن أفعل شيئا يا توم، ولم ياخذوني حتى

أنا أظن أنهم كانوا يريدونها هي فقط.

بكى آرون بعد أن أنهى كلامه ولكن قاطعه توم

قائلًا:

- وهل قمت برؤية أحد منهم؟

صمت آرون وقال بنبرة حزينة:

- داخل السيارة لقد كان هنالك شخص ما ولكن لم أره جيّدًا، ربما يكون ذلك الذي رأيناه في زقاق ديغون؟

أنصدم هاري وتوم عن ما سمعاه من آرون ظنا منهما أن مولي قد سمعتهم لكنهم وجدا بأنها قد ذهبت لتجلب شيئا ما، قال توم بعدها:

- سوف نجتمع عند منزل هاري بعد ساعة.

هز هاري رأسه ومشى داخل الحي برفقة آرون.

بعد دقائق قال توم لأمه أنه سوف يذهب لمنزل هاري ولم يخبرها بالسبب الرئيسي ولكنه وبعد دقائق كان أمام باب منزل هاري وقام بالطرق عليه منتظرا أن يفتح له الباب وبعد لحظة فُتح الباب من طرف هاري الذي قال لتوم مشيرا للداخل:

- هيا ادخل لقد كنا ننتظرك.

دخل توم ووجد آرون جالسًا على الأريكة ولا يزال حزينًا عمّا حدث للونا، قال بعد جلوسه بجانب آرون:

- لا تقلق فسوف نقوم بالعثور عليها.

قال هاري وهو يجلس على الكرسي المقابل لهم:

- نعم يا آرون لا تقلق، فكلام توم صحيح.

قال آرون وهو يرفع نظره اتجاههم:

- ولكن كيف سنعثر عليها، فلقد تم اختطافها وهذا خطئي.

كان توم يفكر في فكرة ما لكي يقوموا بإيجاد لونا وبعد ثوان كثيرة ابتسم وقال:

- سوف نذهب عند ليون!

كان الثلاثة الآن في سوق "لاياغون" يمشون بسرعة رغم الظلام الحالك وقلة الناس في السوق، كان يقودهم توم وهو متجه لمحل السيد ويليام وهو خائف من أن يكون السيد ويليام قد قام بالذهاب وإغلاق المحل، بعد دقائق توقف توم أمام باب المحل وقال:

- لقد وصلنا أخيرا وما زال المحل مفتوحا!

فتح توم الباب بسرعة وقام بالدخول وقد تبعه هاري وآرون وهما فرحان لأن السيد ويليام لا يزال في المحل، فبعد دخولهم بلحظات قاطعهم صوت السيد ويليام الذي خرج من مكتبه منصدم من تواجد الثلاثة في هذا الوقت:

- ماذا تفعلون هنا؟

قال توم مجيبا:

- نريد عنوان منزل ليون.

قال السيد ويليام وقد ارتسمت علامات الفضول على وجهه:

- ولماذا تريد عنوان منزل ابني يا توم؟

قال توم بنبرة حزينة:

- لقد تم اختطاف صديقتي لونا ونريد من ليون مساعدتنا، أرجوك يا سيد ويليام فنحن لا نعلم ماذا نفعل.

نظر السيد ويليام إلى الثلاثة بنظرة شفقة وقال لهم وهو يعود لمكتبه:

- اتبعوني يا أطفال.

دخل الثلاثة إلى المكتب بعد السيد ويليام الذي أخذ ورقة فارغة من مكتبه وقام بتدوين عنوان منزل ليون عليها ثم أعطاها لتوم قائلًا:

- هذا عنوان منزل ليون، منزل أبني بعيد قليلًا عن هنا، يلزمكم ساعة من الوقت لوصوله وأتمنى أن تجدوا صديقتكم، واحذروا من أي شخص.

قال الثلاثة في نفس الوقت بابتسامة عريضة:

- شكرًا أيها السيد ويليام!

بعدها خرج الثلاثة مسرعين من المحل متوجهين لمنزل ليون.

بعد ساعة من المشي بين الشوارع والبحث وانتصاف القمر في السماء، وصل الثلاثة أخيرا أمام منزل ليون الذي كان كأي منزل لمحقق أو شخص يعيش حياة عادية، منزل عبارة عن طابقين مزخرف بطريقة جميلة وعادية، تقدم توم وهاري ناحية الباب ووراءهم آرون الذي وقف ينتظر أن يطرق أحدًا منهم الباب، طرق هاري على الباب بقوة قبل توم الذي قال بغضب:

- ما بك أيها الأحمق؟! اطرق الباب بهدوء!

قال هاري وهو يدافع عن نفسه:

- يجب علي ذلك فإذا لم يك ...

قاطع هاري صوت فتح الباب والذي ظهر بعده ليون الذي كان مرتديا ملابس نومه وملامحه توحي بأنه كان نائما، قال ليون بعدها بتعجب:

- توم؟ هاري؟ ماذا تفعلون هنا؟ ومن هذا الصبي؟

قال توم بخجل:

- نعتذر يا سيد ليون ولكن لق ...

قاطع توم صوت هاري المزعج الذي قال بسرعة:

- ياسيدليونلقدجئناهنامنأجلأننخ!!!

قال ليون وهو يبتسم ويحاول أن لا يضحك:

- تكلم ببطء، وبلا حماس زائد ولكن أولًا أدخلوا جميعًا عندها يمكنكم أخباري، هيا.

ابتعد ليون عن مدخل البيت لكي يدخل الثلاثة بحماس وهم يتأملون ما بداخل المنزل، كان في وسط المنزل غرفة معيشة بأثاث لائق وجميل بلون بني، وفي الجانب الآخر مطبخ صغير ومرتب رغم وضوح تراكم أكواب القهوة وفي الجانب الآخر درجات تقود إلى الطابق الثاني، قال ليون بعد أن جلس على الأريكة وهو ينظر إلى الثلاثة:

- الآن أخبروني لماذا أتيتم إلى هنا.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض يقررون من سيتكلم وبعدها خرج آرون عن صمته وقال لتوم:

- تكلم أنت.

بلع توم ريقه وبدأ قوله:

- عندما رجعنا من زقاق ديغون إلى الحي، اكتشفنا بأن صديقتنا لونا قد تم اختطافها ولم نعلم ماذا نفعل وكيف نتصرف ولكن خطرت لي فكرة أن نطلب

منك مساعدتنا بما أنك محقق.

قال ليون وهو يبتسم:

- وذهبتم لأبي وطلبتم منه عنوان منزلي، هل هذا صحيح؟

قال هاري مقاطعا توم:

- لقد ذهبنا للسيد ويليام وطلبنا منه عنوان منزلك!

قال آرون بعدها بنبرة حزينة:

- هل يمكنك مساعدتنا من فضلك؟

قال ليون بعدها:

- هل رأيتم من خطفها أو شيء من هذا القبيل؟

- نعم لقد كان هنالك شخصان قد ضرباني وأخذاها في سيارة سوداء.

قال آرون ثم بعدها صمت ليون لفترة وهو يفكر، هل تكون العصابة هي من خطفت صديقة توم؟ أو هل سوف أقبض عليهم؟ فكر وفكر ولكن في الأخير قرر مساعدة الثلاثة قائلًا بابتسامة عريضة:

- سوف أساعدكم، ولن نستسلم حتى نقوم بإيجادها.

الفصل الخامس

باب خشبي مزخرف عليه لافتة مرتبة مكتوب عليها، "مكتب السيد فيلتون"، وقف آرثر أمام الباب وهو متردد من أن يطرقه، ولكن في الأخير طرقَ الباب ووقف منتظرًا الرد لكي يدخل حتى سمع:

- يمكنك الدخول.

فتح آرثر الباب وخلع قبعته الطويلة وتقدم إلى داخل المكتب الجميل المزخرف الذي يوحي بأنه لشخص غني، كان آرثر يعرف ذلك لأنه عميل لدا السيد فيلتون، تقدم ناحية المكتب ليرى السيد فيلتون جالسًا على كرسيه مقابلًا النافذة والقمر يتوسط السماء... كان دخان غليونه يتصاعد ببطء وقد قال بعدها بنبرة غليظة بعد أن استدار لكي ينظر إلى آرثر بعينيه السوداوتين:

- ما هو سبب مجيئك هنا يا آرثر؟

قال آرثر بتردد وهو ينظر إلى وجه السيد فيلتون الأنيق رغم وضوح ندبة كبيرة على وجهه:

- أنا هنا فقط لكي أقول لك أن العمل في مسيرة موفقة، ولكن وردتنا أخبار عن تحرك ليون من منزله البارحة برفقة ثلاثة أطفال.

قال السيد فيلتون باستهزاء:

- ثلاثة أطفال؟ دعوه فهو لن يسبب لنا أي متاعب ولكن إن فعل فأرسلوا له بعض الرجال.

قال آرثر بهدوء:

- عُلم يا سيدي.

بعدها استدار وتوجه خارج المكتب. وبعد خروجه من المكان استشاط غضبًا

وقال لنفسه وهو يكمل سيره متوجهًا إلى مكان ما:

- لا يمكنني فعل شيء لك يا ليون، يا لك من غبي!

بعد الحوار الذي دار بين ليون والثلاثة قرروا أن يتوجهوا إلى زقاق ديغون من جديد من أجل جمع معلومات قد تقودهم إلى هؤلاء المختطفين... قال ليون وهو يدخل إلى الزقاق برفقة الثلاثة:

- لا تقوموا بعمل أي فعلة غبية، هل هذا مفهوم؟

هز الثلاثة رؤوسهم بتفهم واستمروا بالمشي ملاحقين ليون إلى داخل الزقاق.. قال هاري بعدها بتعجب:

- هل نحن متوجهين إلى مكان آخر؟ فأنا لا أعرف ما قد يكون بداخل هذا الزقاق.

قال ليون:

- داخل هذا الزقاق مكان يُمكنك من الخروج إلى شارع "السيئين". وبداخله يعيش معظم المجرمين والناس الآخرين ذو سمعة غير طيبة.

قال توم بعدها:

- ولكن كيف لا يتم القبض عليهم في هذا المكان؟

ضحك ليون وقال:

- داخل ذلك الشارع ليس فقط أناس فقراء، بل شرطة فاسدة وأشخاص حكوميون فاسدين، لذلك يتم التستر عليهم، وبهذا أنتم لا تعرفون شيئًا عن هذا الشارع ولو حتى اسمه الذي قلته لكم الآن.

بعد أن أكمل ليون قوله توقف ناحية جدار مهترئ وأضاف بابتسامة عريضة:

- هل تجيدون التسلّق؟

قال الثلاثة في نفس الوقت:

- نعم!

بعدها قفز ليون لكي يمسك بثقب في السور ليكمل تسلقه ويقفز إلى الناحية الأخرى لأن السور طوله لا يتجاوز أربعة أمتار. وقد تبعه هاري وتوم الذي جلس فوق السور لكي يساعد آرون على التسلق بمد يده له وبعدها الهبوط بسزعة إلى الجانب الآخر. كان الشارع الضيق مضاء بشكل خافت بعدد قليل من مصابيح الغاز الخافتة، مما يلقي بظلال مشؤومة على الجدران المتهالكة للمباني المحيطة.. الحجارة المرصوفة بالحصى ملساء بطبقة من الوحل، وتردد أصوات غريبة من الأزقة، تقدم الأربعة ببطء داخل الشارع لكي يجدوا أنفسهم يتخطون القمامة المتعفنة ويمرون بأشكال غريبة من المتسولين واللصوص الصغار المتربّصين في الظل. كان الهواء مليئًا بالإحساس بالخطر والتوتر، شعرت المجموعة بأنهم مراقبون ولكن لم يرَوا أي شخص.. تقدم ثلاثتهم بجانب ليون لكي يسأله توم:

- والآن أين سنبحث؟

قال ليون وهو ينظر إلى جميع الاتجاهات خلال المباني المحيطة بالشارع:

- سوف نتوجه إلى حانة "لاياغون" بما أنه منتصف الليل وأيضًا بما أنه مكان مكتظ قليلًا.

تبع الثلاثة ليون وهم متوجهين للحانة وقد قال هاري لتوم وهم يمشون:

- أنا لم أدخل حانة من قبل، يقولون أنها سيئة، لقد سمعت عن هذا من طرف أمي.

قال توم بهدوء:

- وأنا كذلك. ولكن سوف نعرف ماذا يوجد هناك.

قال ليون بعدما التفت ليرى الثلاثة ما يزالون بطيئين في سيرهم وهم يهمسون لبعضهم البعض.

- هيا، أسرعوا فأنتم بطيئون.

عندما وصلوا كان يخيم جو مظلم وكئيب فوق الحانة واللافتة فوق الباب تعطي صريرًا مزعجًا.

تقدم ليون وفتح الباب ليرنّ جرس الباب ببطء. بعدها تبعه توم وهاري وآرون الخائف وراءهم، كانت الحانة مضاءة بشكل خافت بواسطة ثريا معلقة على شكل شمعة، وكان الهواء مثقلًا برائحة العرق والتبغ، والأرضية اللزجة متناثرة بالأوراق المجعدة والزجاج المهشم. كان يجلس بالداخل زبائن قذرون وبغيضون منحنيين وهم يتناولون مشروباتهم ويهمسون فيما بينهم بشكل خفي. تقدم ليون قليلًا وقال للثلاثة:

- لا تبرحوا مكانكم، سوف أعود بعد قليل.

قال توم بعدما جلس على طاولة برفقة هاري وآرون:

- لا تقلق يا ليون لن نفعل أي شيء غبي.

هزّ ليون رأسه وسار إلى السلالم وصعد إلى الطابق الثاني من الحانة. بدأ يبحث بعينيه عن أي شخص قد يعرفه أو أي شخص مشبوه في أمره، لمح شخصًا من بعيد يشاهده، لم يرَ ليون ملامح الشخص بوضوح ولكنه أكمل بحثه كأنه لم يشاهده، جلس على طاولة قريبة من ذلك الشخص، كان ذلك الرجل جالسًا يتظاهر بأنه يقرأ جريدة ويشاهد ليون في كل ثانية وعلى وجهه علامات التوتر والقلق حتى قرر أن ينهض ويقترب من ليون الجالس على الطاولة المقابلة له، لاحظ ليون اقتراب الرجل ونهض بسرعة خاطفة لكي يطرحه أرضًا. انصدم

ليون بعد رؤيته لوجه ذلك الشخص وقال بعدها:

- نيفيل؟

قال نيفيل بتوتر بعد أن نهض وتبسم:

- نعم إنه أنا يا ليون.

قال ليون وعلى وجهه علامات التعجب والصدمة:

- ولكن لماذا كنت تراقبني؟ لماذا لم تتواصل معي؟

قال نيفيل بعد أن رأى أن رجال السيد فيلتون يبحثون في الأرجاء:

- لا وقت للكلام، يجب علينا الذهاب الآن يا ليون.

التفت ليون لكي يجد رجلان ضخمان واضح من ملامحهما أنهما يبحثون عن شخص ما، وقد كانا ينظران إلى أي شخص جالس على أي طاولة...

قال ليون لنيفيل بسرعة:

- هيا اتبعني!

هزّ نيفيل رأسه وجرى وراء ليون بعد أن سمع احد رجال فيلتون يقول:

- الحق بهما، لا تدعهما يفلتان!

كان الثلاثة جالسين في نفس الطاولة التي تركهم ليون فيها وهم واضح عليهم القلق، ويحدّقون بأي شخص يدخل إلى الحانة حتى قال توم:

- سوف تقتلني أمي، لقد رحلت من المنزل دون أن أخبارها ولكن في سبيل إنقاذ لونا سأفعل كل ما باستطاعتي.

قال هاري بعدها بحزن:

- حتى أنا فلقد فعلت نفس الشيء.

وقبل أن يتكلم آرون سمع الثلاثة صوتَ شخصين ينزلان من السلالم بسرعة وقد كانا ليون وشخص معه لم يعرفه الثلاثة... جرى ليون نحوهم وقال:

- هيا! هيا لنذهب!

ارتعب الأطفال ولم يعرفوا ما يفعلوا سوى أنهم رأوا رجلان ضخمان ينزلان من السلالم وأشار واحد منهما باتجاههم وقال:

- ها هم هنا!

قال ليون وهو يرمي كرسيًا عليهم:

- اذهبوا مع نيفيل، هيا!

هزّ نيفيل رأسه وفتح الباب لكي يدع الثلاثة يخرجون ويتبعهم نيفيل، وهاري الذي كان يصرخ مثل فتاة صغيرة.. بعد أن ابتعدوا عن الحانة ووصلوا إلى الجدار توقفوا وقال توم بقلق:

- لقد بقي ليون هناك!

قال نيفيل بأبتسامة:

- لا تقلق عليه فأنا أعلم ماذا سيفعل.

في نفس الوقت كان ليون يستعد لقتال الرجلين، والناس المتبقية تهرب من الحانة، وبعض نساء الليل يصرخون ويهربون، تقدّم الرجل الأول ليسدّد لكمة لليون الذي تفاداها بمهارة كبيرة... وقد تجاوزه ووجّهه ضربتين سريعتين إلى بطن الرجل... تألم الرجل لكنه اندفع بسرعة إلى الأمام ليمسك بمعطف ليون. حاول ليون الإفلات من قبضته ولكنه لاحظ أن صاحبه الآخر يحاول أن يضرب ليون بكرسي على رأسه، لكن ليون استغل الرجل الثاني، وللحظة ضرب الرجل

بين فخذيه ليفلت منه وهو يتألم.. وفي نفس الوقت ضرب الرجل الآخر صاحبه بكرسي وأسقطه أرضًا بدل أن يضرب ليون الذي سقط على الأرض، جرّ ليون رجلي الرجل الآخر بسرعة ليسقط هو الآخر... وفي ثانية انقضّ ليون عليه بكلمات سريعة لكي يغمى عليه في ثوان، بعد أن استجمع قواه نهض ليون الذي كانت ملابسه متسخة قليلًا، نظفها ورجرج شعره الأشقر ومسح جبينه المتصبب عرقًا، توجه للجدار لكي يلحق بالآخرين. بعد دقائق وصل لهم، وفور رؤية توم له ركض إليه وعانقه قائلًا:

- ماذا حدث يا ليون؟

قال وهو يلهث والابتسامة على وجهه:

- لا شيء، فقط أعطيتهم درسًا لن ينسوه.

ضحك نيفيل وهاري وآرون كذلك وأضاف نيفيل بعد صمت دام لعدة ثوان:

- عمل جيّد يا صديقي أنّك ما زلت على قيد الحياة، ولكن يجب علينا التوجه إلى مكان ما لأخبرك بكلّ شيء.

هزّ ليون رأسها متفهّمًا وقال:

- هيا يا أطفال علينا الذهاب حالًا.

ولكن قاطعهم هاري قائلًا:

- ولكن أنا جائع وأريد ...

قاطع توم وآرون هاري بعد أن دفعاه لكي يتحرك قائلين:

- لا وقت للأكل الآن، لقد كنا على وشك الموت من طرف عملاقين وليسا رجلين عاديين وأنت تفكر في الأكل!

وبعدها توجهت المجموعة كلها إلى منزل ليون لكي يعرفوا ما سيقول لهم

نيفيل.

الفصل السادس

لما عاد الجميع إلى منزل ليون كانت الساعة قرابة الثالثة فجرًا، ومن كثر تعبهم والمغامرة التي خاضوها في الحانة، غلب عليهم النوم فناموا جميعًا ناسين ما كان سيقول لهم نيفيل. ومع ابتداء ظهور خطوط ضوء الشمس على النافذة استيقظ ليون وحاول ألا يقوم بإيقاظ الأطفال وجعلهم ينامون لفترة من الوقت رغم قلقه من أنهم قد يكونوا ملاحقين من طرف أشخاص آخرين... كان ليون في المطبخ يقوم بتحضير بعض القهوة لكي تساعده على الاستيقاظ قليلًا حتى سمع صوت صرير من السلالم الخشبية معلنًا عن نزول شخص من الطابق الثاني، التفت ليون لكي يلمح نيفيل قادمًا وما تزال علامات النوم تغلب عليه، قال دون أن يلتفت ناحية نيفيل:

- هل تريد بعض القهوة؟

ردّ بنبرة توحي على أنه ما زال يغلبه النعاس:

- نعم، من فضلك.

جلس على الأريكة منتظرًا ليون الذي جاء وهو يحمل كوبين من القهوة الساخنة، أعطى كوبًا لنيفيل وجلس مقابلًا له وهو يأخذ رشفة صغيرة وقال:

- والآن أخبرني بما كنت تريدني أن أعرف.

قال نيفيل:

- لقد كنت أريد أن ألتقي بك من قبل، ولكن حدثت بعض الأشياء التي جعلتني لا أصل إليك، لقد أرسلني آرثر منذ يوم لكي أحذّرك.

قاطع ليون نيفيل بصدمة:

- آرثر؟!

قال نيفيل:

- نعم، فهو لا يزال في نفس مهمته، ولقد وصل إلى رأس العصابة وهو يعمل لديه الآن كعميل مزدوج من أجلنا، ولكن قد أرسلني لكي أحذرك.

قال ليون بتعجب:

- تحذرني من ماذا؟

- لقد عرف فيلتون عنك، وهو من أرسل الرجلين البارحة. لقد كان يريد قتلك وقتل هؤلاء الأطفال كذلك، لم يكن آرثر يعرف عن هذا وأظن أنه في خطر، لقد تلاعب به ذلك الحقير.

قال ليون بقلق:

- أخبرني بمكان العصابة فعلينا مساعدته أو حتى تحذيره.

- لا يمكننا ذلك فور ذهابنا إلى هناك، فنحن نحكم على أنفسنا بالموت يا ليون.

أراد ليون أن يتكلم ولكنه قوطع بطرق عالٍ على الباب وقال لنيفيل بنبرة منخفضة:

- أيقظ الأطفال أظن أننا في خطر هنا. وخذ المسدس فهو على طاولة مكتبي.

قال نيفيل يتوجّهًا إلى الطابق الثاني:

- علم.

في هذه الأثناء دخل آرثر كعادته لقصر فيلتون وهو مكان اجتماع العصابة، فقد كان هذا القصر ليس منزل السيد فيلتون ولكن مكان إقامة عصابته. وفي أسفل المكان الذي يتركون فيه الأطفال المخطوفين. كان آرثر متوجّهًا لمكتب السيد فيلتون ومسدسه في حزامه كعادته وهو يمشي ويقوم بتحية أي شخص هناك بسرعة وهو يصعد من طابق إلى آخر حتى وصل الجناح الذي كان فاخرًا،

وهو الجناح الذي يكون فيه مكتب السيد فيلتون. توجه آرثر ناحية باب المكتب وطرق عليه ببطء حتى سمع صوت السيد فيلتون الغليظ:

- بإمكانك الدخول.

فتح آرثر الباب ووجد السيد فيلتون برفقة رجلين مسلحين، الذي سبب لآرثر تشويشًا فهو لم يرَ من قبل حراس وفي مكتب فيلتون كذلك، قال آرثر بتعجب واضح:

- هل حدث شيء ما؟

قال فيلتون بابتسامة مصطنعة ووجه يده للكرسي المقابل للمكتب:

- اجلس أولًا يا آرثر، وأنتما انصرفا خارجًا.

جلس آرثر على الكرسي الخشبي وسكت منتظرًا السيد فيلتون لكي يتحدث. قال السيد فيلتون بعدها:

- أريد أن أسألك سؤالين يا آرثر وأجبني بصدق.

- نعم، تفضل يا سيدي.

قال السيد فيلتون وهو يشغل غليونه:

- أين كنت البارحة بعد خروجك من مكتبي؟ والسؤال الثاني هو هل تخونني أم لا؟!

اتضحت علامات القلق على وجه آرثر وتردد في الإجابة ولكنه قال:

- لقد توجّهت لمنزلي يا سيدي، وأنت تعلم أن ولائي لك غير محدود.

قال السيد فيلتون وهو يبتسم ابتسامة خبيثة:

- نعم نعم، أعلم ذلك وشكرًا على إجابتك الصادقة يا آرثر.

أضاف بابتسامة خبيثة بعد أن سكت لفترة:

- يمكنك الانصراف الآن.

هز آرثر رأسه واستدار ناحية الباب ليخرج، ولكن فور فتحه للباب وخروجه وقف أمامه حارسا فيلتون المسلحين وقال واحد منهم:

- أين أنت ذاهب يا آرثر؟

تعجب آرثر مما قاله حتى سمع صوت فيلتون يقول:

- اقتلوه!

وقبل أن يضربه أحد أخرج آرثر مسدسه وأطلق على الأول ليسقط ميتًا.. وفي نفس الوقت الحارس الآخر أطلق طلقة من مسدسه، تجاوزها آرثر بالحظ وأطلق عليه طلقتين على رجله ليجثو أرضًا، ضرب آرثر مسدسه ليرتمي بعيدًا عنهم، غضب السيد فيلتون عند رؤيته لهذا المشهد ولكنه أراد أن يحمل مسدسه من فوق المكتب لكي يقتل آرثر. لكن آرثر وبسرعة أطلق على المكتب ليجري السيد فيلتون ويختبئ وراء كرسيه، تردد آرثر في إعادة إطلاق النار، ولكنه أراد الهرب قبل وصول الآخرين له... أطلق طلقتين من مسدسه ليلهي فيلتون عن اللحاق ورائه وجرى إلى الناحية الأخرى... نزل عبر تلك السلالم لأنه كان هناك سلمين لكي يصعد لهذا الجناح ولكنه هرب من السلم الآخر لكي لا يلتقي بالحراس الآخرين، كان آرثر ينزل من الدرج بسرعة لاهثًا.. وفور وصوله للأسفل التقى بحارس يحرس المخرج الثاني من القصر لوحده والذي فور رؤيته آرثر وجّه له طلقة على كتفه، اختبأ آرثر وراء تمثال درع حديدي وأخذ يطلق من مسدسه ناحية الآخر... ولكن في اللحظة الأخيرة نفذت الذخيرة من مسدس آرثر ورأى الآخر يقترب منه ويقول:

- اخرج يا آرثر لقد حان وقت موتك!

فكر آرثر واتسعت عيناه، ولكن في اللحظة الأخيرة قرر أن يدفع الدرع الحديدي رغم الألم الذي يشعر به في كتفه ليسقط الدرع في الوقت المناسب على الحارس الذي سقطت منه قنبلة صغيرة من جيبه لتأتي أمام رجلي آرثر، حمل آرثر القنبلة ولكنه سمع صوتًا فوقه في الجناح الثاني يقول:

- إنه بالأسفل أمسكوا به!

جرى آرثر ناحية الباب وفتحه وسحب مفتاح القنبلة ورماها داخل القصر وأوصد الباب بسرعة وتوجّه ناحية صندوق القمامة الكبير... دفعه بكل ما أوتي من قوة لكي يردعهم من الخروج ريثما يهرب.. جرى آرثر قرابة الخمسة أمتار حتى سمع انفجارًا متوسطًا داخل القصر... ابتسم وهو ينزف من ذراعه وأطلق سبة:

- خذوا هذا يا أوغاد!

أكمل آرثر جريه رغم التعب الواضح عليه حتى خرج عن نطاق القصر. بعد ثوان رأى أمامه شخصًا يقود عربة ويبدو أنه تاجر ما. جرى آرثر ناحيته وهو يلهث وقال:

- هل يمكنك إيصالي إلى لندن إذا كنت متوجّهًا لها من فضلك؟

أرتعب الرجل عند رؤيته لآرثر وعينيه ذهبت لتحدّق بالمسدس الذي يحمله وقال:

- ن ... نعم يمكنني إيصالك يا سيدي.

رد آرثر عليه وهو يركب داخل العربة المحملة ببعض البضائع:

- شكرًا لك، أريد الذهاب إلى ...

هزّ الرجل رأسه وضرب حصانه ليسرع. وفي نفس الوقت ضرب رجال السيد

فيلتون المتبقيين الباب ضربة أخيرة لينكسر ويخرجوا بسرعة خلف السيد فيلتون الذي مسح الرماد من وجهه وقال بغضب:

- سوف أقتلك يا آرثر، الحقوه واقتلوهم جميعًا!

Page ٤٣ / ٧٩ الفصل السادس

الفصل السابع

ربثما صعدَ نيفيل للأعلى لكي يوقظ الأطفال جرى ليون ناحية الباب ليرى من الفتحة ظنًا منه أنهم رجال السيد فيلتون، ولكن فور أن نظر من فتحة الباب اتسعت عيناه وفتح الباب بسرعة ليجد آرثر وهو ينزف من ذراعه والذي قال فور رؤيته ليون:

- لم أرَك لوقت طويل يا ليون!

سقط آرثر بعدها على الأرض مغشيًا عليه. وبعد رؤية ليون لهذا حمله إلى الداخل وأغلق الباب ورائه، وضعه على الأريكة وفي نفس الوقت نزل نيفيل برفقة الصّبية الثلاثة ليقول نيفيل بقلق:

- آرثر، متى؟

جرى نيفيل ناحية آرثر المغمى عليه على الأريكة ولكن ليون كان قد ذهب ليجلب شيئًا لكي يوقف به نزيف آرثر... بعد ثوانٍ معدودة عاد ولفّ ضمادة حول ذراع آرثر وبعد رؤيته للجرح تنهد ليون بارتياح وقال:

- لم تدخل الرصاصة إلى ذراعه أعتقد أنها قد جرحته وهذا ما سبب في نزيف له، يجب علينا أن نتركه يرتاح قليلًا.

هزّ نيفيل رأسه متفهّمًا وجلس على الأريكة المقابلة لهم والقلق واضح عليه. كان الصبية منصدمين مما يرونه لأنهم لم يروا أحدًا مصابًا هكذا ولم يجرّبوا مثل هذه الأشياء من قبل. تقدم توم بقلق وسأل ليون:

- هل سيكون بخير؟

أجاب ليون مبتسمًا لكي لا يقلقهم:

- نعم سوف يكون بخير. وعندما يستيقظ لن نبقى هنا. يمكنكم أكل شيء ما

فأنتم جائعين منذ البارحة.

قال توم بابتسامة:

- شكرًا يا ليون أنا ممتنّ لك.

قاطع هاري توم بحماس:

- وأخيرًا سوف نأكل!

دفع آرون هاري قائلًا:

- اصمت يا غبي ودعنا نذهب لنأكل بصمت.

توجه توم برفقة هاري وآرون للمطبخ تاركين نيفيل وليون رفقة آرثر، تحدّث الأطفال الثلاثة عن أنهم قد رأوا آرثر في زقاق ديغون ولكن رغم كل ما تحدثوا عنه اقتنعوا أن آرثر رجلٌ طيّب لأنه صديق ليون، ولكنهم اقتنعوا. بعد ساعة وهم في نفس الوضع بدأ آرثر يستيقظ وينظر حوله ليرى ليون ونيفيل رفقة الأطفال الثلاثة، نظر ناحية كتفه ووجد بأنهم قد أوقفوا النزيف وقال مبتسمًا رغم التعب:

- شكرًا لكم جميعًا، أنا ممتن لكم.

ابتسم ليون كذلك وقال مجيبًا:

- أنت في حالة جيّدة الآن، أخبرنا ماذا حدث معك؟

تبسم آرثر وحاول الجلوس ليتقدم توم ويساعده على الجلوس وقال آرثر:

- شكرًا لك يا صبي.

هز توم رأسه بابتسامة ورجع مكانه بجانب هاري وآرون منتظرين آرثر لكي يبدأ كلامه. قال آرثر بعدها:

- لقد اكتشف فيلتون أنني عميل سري لدى مركز الشرطة.

قال نيفيل:

- كيف يمكن ذلك؟!

أجاب آرثر:

- ربما رآنا أحد رجاله، عندما كنت أريد إرسالك لتحذّر ليون.

قال ليون بعدها بنبرة غاضبة:

- إذن فعلينا أن نفعلها لوحدنا، فأنت تعلم مكانه يا آرثر.

رد آرثر على ليون:

- لا يمكننا الذهاب هناك بدون خطة فقد نقتل هناك بدون جدوى!

صمت ليون لفترة والصبية الثلاثة ينظرون لهم بصمت حتى قطع هذا الصمت صوت نيفيل:

- وما قصة هؤلاء الصبية يا ليون؟

قال توم مكان ليون:

- لقد تم اختطاف صديقتنا ونظنّ أن السبب في اختطافها هو فيلتون ولذلك طلبنا من ليون مساعدتنا في هذا الأمر، وأنت يا سيد آرثر لقد رأيتك من قبل في زقاق ديغون برفقة شخص، وقد قلت له أن السيد فيلتون يطلب فتاة صغيرة.

انصدم آرثر مما سمع وقال:

- هل تلك الفتاة تملك شامة على خدّها الأيمن؟

- نعم، اسمها لونا.

قال هاري بعدها:

- هل رأيتها من قبل أو تعرفها يا سيد آرثر؟

- نعم إنها في قصر فيلتون ولكن لا أعلم لماذا يريدها.

تقدّم بعدها آرون وقال:

- إذَن علينا الذهاب لإنقاذها!

رد آرثر قائلًا:

- لا يمكننا الذهاب هناك بدون خطة فعلينا عمل واحدة.

هز ليون رأسه وكذلك نيفيل وسكتوا لفترة يفكرون في خطة، وفي نفس الوقت توجه آرون للمطبخ لكي يشرب بعض الماء حتى رجع بعد ثوان يجري بسرعة قائلًا برعب:

- هنالك بعض الرجال خارجا!

نهض ليون من مكانه وقال:

- يجب علينا الذهاب الآن، اخرجوا من الباب الخلفي، واذهب بهم لمنزل أبي يا آرثر!

جرى الصبية ناحية الباب الخلفي وأكمل ليون قوله:

- اتبعني يا نيفيل فآرثر سيذهب معهم!

هز آرثر رأسه وتبع الصبية خارجين من الباب الخلفي تاركين نيفيل وليون لوحدهم. ذهب ليون ناحية مكتبه ليحمل بندقيته السوداء وأخذَ بعض من الذخيرة وعشّق سلاحه وقال لنيفيل الذي حمل مسدسه هو الآخر:

- حان وقت قتل بعض الرجال!

ابتسم نيفيل وقال هو الآخر:

- لنفعلها!

توجه ليون ناحية الباب ببطء ونظر من فتحته ليجد بعضًا منهم أمام الباب يستعدّون لكسره... التفت وقال لنيفيل:

- اختبئ فسوف يكسرون الباب وفور دخولهم اقتلهم.

هزّ نيفيل رأسه واختبأ في مكان قرابة ليون الذي فعل الأمر نفسه منتظرين دخول رجال فيلتون. كان التوتر يغلب عليهما والخوف والقلق في نفس الوقت ولكنهم استجمعوا شجاعتهم... ساد صمت قصير لمدة ثوان وضُرب بعدها الباب بقوة، نظر ليون ناحية نيفيل وهز رأسه معلنًا أن عليه أن يستعد، ضرب الباب بقوة لمرة ثانية حتى اندفع الباب مكسورا... دخل بعد ذلك خمسة أشخاص مسلحين ببدلات سوداء وملامح صارمة وكانوا ينظرون إلى جميع نواحي البيت، هزّ ليون إصبعه بصمت ناحية نيفيل معطيًا الإشارة له، بعدها أطلق ليون طلقة من بندقيته على واحد منهم وأطلق نيفيل من مسدسه طلقتين على الآخر، بقي ثلاثة أطلقوا عليهم ولكن ليون ونيفيل اختبؤوا في مكانهم من جديد حتى سمعوا صوت واحد منهم يقول:

- لا تدخلا فهما بالداخل!

قال بعدها نيفيل بصمت لليون المختبئ وراء المطبخ:

- ماذا سنفعل الآن؟!

قال ليون والابتسامة تغزو وجهه:

- لدي هذه الهدية الصغيرة هنا.

اتسعت عينا نيفيل فور رؤيته لقنبلة بين يدي ليون الذي قال بعدها:

- سوف أرميها عليهم وفور رميها توّجه بسرعة ناحية الباب واحمِ ظهري كي لا

أصاب، هل هذا مفهوم؟

أجاب نيفيل بشجاعة:

- مفهوم.

بعد هذا فتح ليون القنبلة ورماها برمية ممتازة للخارج لينصدم ثلاثتهم الباقين ويصرخ واحد منهم:

- تراجعوا إنها قنبلة!

وقال بعدها ليون لنيفيل:

- اذهب الآن!

جرى نيفيل ناحية الباب الخلفي وفتحه والتفت لكي يحمي ظهر ليون الذي تبعه فورًا بسرعة، خرج الاثنان بعدها وانفجرت القنبلة خارجًا مسببة ضررًا كبيرًا ومقتل ثلاثة من رجال فيلتون... جرى ليون ونيفيل للمكان الذي اتفقا عليه مع آرثر وكانا بين الحين والآخر ينصدمان ببعض المارة في الشارع ويلتفتان وراءهما قلقين من أن يتبعونهما، ولا يعلمان أنهم قد ماتوا! بعد وقت ليس بقصير وصلا لمنزل أبيه "السيد ويليام". تقدم ليون ناحية الباب لاهثًا وطرق عليه قائلًا:

- إنه أنا ليون، افتحوا الباب!

بعد أن أكمل قوله فتح الباب من طرف توم وآرون اللذان عانقا ليون ونيفيل بابتسامة عريضة. قال توم:

- حمدًا لله، ظننا أنكم تعرضتم للقتل!

ابتسم ليون وقال لتوم:

- نحن بخير لا تقلق.

بعد أن أكمل كلامه ظهر السيد ويليام متوجهًا ناحية ابنه ليقول بقلق وهو يتفحص وجه ليون:

- هل أنت بخير يا بني؟

- أنا بخير يا أبي لا تقلق.

عندها توقف السيد ويليام وقال:

- هيا ادخلوا إلى البيت.

تبعه ليون ونيفيل والصبيان ليجدوا أرنر جالسًا وهاري معه. ليقول أرنر بابتسامة خبيثة بعد أن رآهم:

- حان وقت تجهيز خطة الآن!

الفصل الثامن

ظلام كثيف ولا ضوء في المكان. كان الليل قد حل. صوت خطوات لشخص ما على الأرض، وصرير صوت فتح باب حديدي لسرداب ما، وصوت بكاء عدة أطفال... مشى فيلتون وهو يبحث بين الزنزانات حتى توقف أمام الزنزانة الأخيرة وقال بخبث:

- ها أنتِ هنا!

كانت لونا جالسة داخل الزنزانة تظهر على وجهها ملامح التعب وعينيها مملوءتين بالدموع، وملابسها متسخة جرّاء الأرضية الجالسة عليها.. رفعت رأسها من بين رجليها ونظرت بخوف إلى فيلتون الذي فتح الباب ووقف أمامها وهو يبتسم بخبث وقال:

- أنتِ لا تعلمين ما هو سبب اختطافك، هل هذا صحيح؟!

صمتت ولم تجب على سؤاله، كانت خائفة منه ولم تقدر على إخراج الكلمات من فمها... حتى قال للمرة الثانية:

- عندما أسألك أجيبي!

قفزت لونا من مكانها برعب وقالت ببطء:

- نعم.

ثم بعدها قال فيلتون:

- لن أقول لكِ السبب الرئيسي ولكن أبوكِ لديه دخل.

انصدمت لونا عندما قال شيئًا عن أبيها ولكنها كانت خائفة من سؤاله، صمت فيلتون لفترة ثم أضاف:

- أصدقاؤك مثيرون للمتاعب ولكن أعلم أنهم يريدون إنقاذك، سوف يحكمون على أنفسهم بالموت جزاء ذلك.

اتسعت عينا لونا عندما سمعت كلامه عن توم وآرون وهاري وقالت:

- لا أرجوك!

ضحك السيد فيلتون ضحكات عالية وأقفل باب الزنزانة الحديدي ومشى خارجًا تاركًا لونا تبكي.

في نفس الوقت وفي منزل السيد ويليام كان الجميع مجتمعين ويُنشئون خطّة من أجل الذهاب لإنقاذ لونا... تحدث ليون أولًا:

- آرثر أخبرنا أنت، لأنك تعرف المكان جيّدًا.

صمت آرثر لفترة قصيرة وقال:

- القصر يتكون من ثلاثة طوابق كبيرة، الأول للاجتماعات والثاني يكون فيه فيلتون، أما الثالث فارغ لا يقطن فيه أحد، ولكن هنالك مكان أسفل القصر ...

تقدم هاري وقال:

- وما هو هذا المكان وأين تكون لونا؟

أجاب آرثر بعدها:

- في الأسفل هناك سرداب صمّمه فيلتون كسجن مصغّر وهو المكان الذي يتركون فيه الأطفال المختطفين ... ولونا هناك في زنزانة ما.

صمت الجميع بعد سماع كلام آرثر وقال نيفيل:

- يجب علينا التسلح أولًا فقد نواجه حراس كثيرين.

هزّ ليون رأسه باتفاق وقال:

- أنا أعلم من أين سنجلب الذخيرة والمساعدة ولكن أولًا نحن نعرف تخطيط القصر ويجب علينا عمل خطة للدخول إليه ... هل تعرف بابًا سرّيًا للدخول منه يا آرثر؟

هز آرثر رأسه وقال:

- أعلم مكانًا واحدًا فقط وهو وراء القصر مباشرة بجانب الباب الخلفي.

قال آرون بعدها بتعجب:

- ولماذا لا يمكننا الدخول من الباب الخلفي؟

أجابه آرثر:

- الباب الخلفي للقصر قد يكون بجانبه حراس ولكن هذا المكان ليس ببعيد عنه، لهذا علينا التسلل ببطء والصعود من السلم الخارجي ليوصلنا للطابق الثالث إذا كنا لوحدنا.

قال توم بعدها بقلق:

- ولكن يجب علينا مواجهة جميع الحراس هناك لننزل للطابق الأول وبعدها للأسفل.

أجاب ليون:

- سوف نواجههم أنا وآرثر ونيفيل وأنتم الثلاثة سوف تذهبون لتحرير لونا، ولا تقلقوا فسوف أجلب المساعدة ... سأحاول.

قال توم:

- إذَن فهذه هي خطتنا؟

هزّ الجميع رؤوسهم موافقين عدا آرون الذي كان واضح عليه الخوف، لاحظ

هاري الجالس بجانبه ذلك وقال له:

- لا تخف يا آرون، فأنا أعلم أنك شجاع هنا.

أشار هاري إلى قلب آرون وابتسم ليرد آرون عليه بابتسامة:

- شكرًا لك يا هاري سأحاول أن أكون شجاعًا.

تعانق الصبيان بينما المتبقّون يشاهدونهما بابتسامة. لينهض ليون ويقول:

- الآن يجب علينا الذهاب لجلب الذخيرة وربما بعض المساعدة.. سوف تذهب معي يا نيفيل؟

أجاب نيفيل ليون وهو ينهض من مكانه:

- أجل، هيا بنا.

قال توم:

- سوف ننتظركما حتى تعودا.

ابتسم ليون ونيفيل وخرجا من المنزل وأقفلا الباب خلفهما تاركين الصبية برفقة آرثر.

بعد خروج ليون ونيفيل من المنزل سأل نيفيل ليون:

- إلى أين سنذهب؟

أجابه دون أن يلتفت ناحيته:

- فقط اتبعني. حينها سترى إلى أين.

سار الاثنان بسرعة بين شوارع لندن المرصوفة بالحصى. وخلال سيرهم كان بإمكانك سماع صوت حوافر الخيول أثناء مرور العربات، وطنين حشود الناس البعيدة، وصراخ الباعة المتجوّلين من حين لآخر. كانت المباني من حولهم عبارة

عن مزيج من الأساليب، حيث كان بعضها طويلًا ومزخرفًا مع نحت معقد من الخارج، بينما كان البعض الآخر أكثر نفعية في تصميمها، وبعد وقت ليس بقصير اقترب ليون ونيفيل من المكان الذي كانا متجهين إليه، وهو مبنى سري يجتمع فيه المحققون وغيرهم من مسؤولي منفذي القانون ويعملون فيه.. توقف ليون أمام المبنى وقال وهو ينظر إلى نيفيل:

- والآن علينا إقناعهم بمساعدتنا.

قال نيفيل بقلق وهو ينظر إلى المبنى:

- سنحاول، ربما يقتنعون.

دخل ليون ونيفيل إلى مركز الشرطة الخاص، وهو مبنى مظلم ومشؤوم إلى حد ما تفوح منه رائحة السلطة. الهواء في الداخل هادئ وساكن، وهو تناقض حاد مع الصخب والضجيج في الخارج... تردد صدى خطواتهم بصوت عالٍ في الممرات شبه الفارغة، والصوت الآخر الوحيد هو الهمهمات الناعمة للضباط الذين يتحدثون بهدوء فيما بينهم.. كانت الجدران عارية والنوافذ القليلة هنا وهناك تلقي ضوءًا خافتًا على الأرضيات المتسخة. توجه ليون برفقة نيفيل إلى أحد الضباط الذي كان جالسًا على مكتبه وأمامه العديد من الأوراق ويبدو سارحًا في العمل، قال له ليون بهدوء:

- أريد مقابلة الرئيس "والدر".

لم يرفع الضابط نظره تجاه ليون ونيفيل وقال:

- لا يمكنك ذلك، عد غدًا.

أجاب ليون بعدها:

- قل له أن المحقق ليون يريد الحديث معه في شيء مهم.

عند سماع الضابط اسم ليون نهض من مكانه وقال:

- أنا آسف يا سيد ليون سوف أخبره في الحال!

توجه الضابط إلى مكتب الرئيس وأغلق الباب وراءه، ليخرج بعد ثوان متوجهًا ناحية ليون ونيفيل اللذان كانا ينتظران وقال:

- يمكنكما مقابلته الآن.

قال ليون بابتسامة وهو يرمق نيفيل بنظرة:

- شكرًا لك.

سارا بعدها برفقة الضابط الذي فتح باب مكتب الرئيس، كان المكتب ممتلئًا أوراقً وملفات، ورف مليء بملفات القضايا، وعلم انجلترا صغير في جانب المكتب، كان الرئيس والدر جالسًا على كرسيه، رجل في العقد الرابع من عمره بملامح حادة وعينين سوداوين وشعر أسود تغطيه قبعة طويلة... فور دخول ليون برفقة نيفيل ابتسم وقال:

- ليون، اجلس من فضلك، وأنت أيضًا يا نيفيل.

جلسا على الكرسيين المقابلتين للمكتب. وأضاف السيد والدر:

- ما هذا الموضوع المهم الذي تريد التحدث فيه يا ليون؟

قال ليون بجد:

- عن فيلتون يا سيدي.

اتسعت عينا الرئيس وقال:

- فيلتون؟!

رد نيفيل عليه:

- نعم هو، ونحتاج مساعدتك.

رد والدر بقلق:

- لا يمكنني ذلك.

قال ليون بشجاعة:

- يمكننا القبض عليه جميعًا، فنحن نعلم مكانه وأيضًا نعلم مكان الأطفال المختطفين، إنها فرصتنا الأخيرة يا سيدي ولا يمكننا تركها تذهب هباءً، وآرثر معنا كذلك، لا ينقصنا شيء سوى مساعدتك لنا.

- .....

أضاف نيفيل هو الآخر:

- نحن لا نكذب عليك، نحتاج مساعدتك بشدة.

صمت والدر لفترة وقال بابتسامة عريضة:

- إذَن لنقبض على هذا الحقير.

في الجانب الآخر وفي بيت السيد ويليام كان الصبية يتدربون على القتال مع آرثر الذي قال:

- أول شيء تحتاجه لكي تسدد لكمة قوية هو التركيز والقوة والحركة الصحيحة، هل هذا مفهوم؟

هز الثلاثة رؤوسهم بتفهم وقال هاري:

- أتذكر مرة ضربت آرون بالغلط على فكه وقد تسبب ذلك في إسقاط سِنه من فمه ...

حاول توم عدم الضحك على آرون الذي كان ينظر إلى هاري بنظرة غضب

والذي قال بعدها:

- هل نسيت أنك كنت تصرخ كالفتاة؟!

غظب هاري ورد على آرون:

- أنا لست مثلك يا آرون!

دفع الاثنان بعضهما البعض وقد كانا على وشك العراك حتى فارقهما آرثر قائلًا:

- كفى أنتما! ألا تصمتان لمدة دقيقة كاملة ولو لمرة واحدة؟!

صمت هاري وآرون وفي الجانب الآخر كان توم يضحك عليهما فقال له آرثر:

- حتى أنت معني بهذا الأمر! والآن هل يمكنكم مساعدتي في الاستعداد؟

كان ليون ونيفيل الآن برفقة مجموعة من الضباط والرئيس والدر وقد كانوا يستعدون للذهاب والهجوم على قصر فيلتون،

توجه ليون ناحية والدر وقال له:

- يجب علينا الذهاب وإحضار باقي الأصدقاء، هناك آرثر وبعض الفتية.

قال والدر حاملًا مسدسه وواضعًا إياه داخل حزامه:

- بعض الفتية؟

أجاب ليون:

- نعم وهم سيفيدوننا في العديد من الأشياء.

هزّ والدر رأسه وسار بين الضباط وقال:

- هيا بنا يا رجال!

كان آرثر الآن يجهّز سلاحه منتظرًا ليون ونيفيل، كان لا يعلم أين ذهبوا سوى

أنهم سيجلبون بعض المساعدة. بعدها سمع صوت طرق على الباب. أراد النهوض لفتح الباب لكنّ توم جرى ناحية الباب ليفتحه، ليجد ليون ونيفيل برفقة عشرة رجال مسلحين. انصدم توم وتراجع للوراء غير قادر على الكلام... ابتسم ليون ودخل إلى البيت قائلًا:

- لا تقلق هؤلاء معنا.

ثم أضاف:

- تغيير في الخطة يا آرثر لن نذهب لوحدنا.

رد آرثر مبتسماً:

- هذا رائع يا ليون!

أشار نيفيل للفتية كي يتبعونه للسيارة وأيضًا توجه والدر برفقة ليون وآرثر إلى سيارة أخرى برفقة بعض الرجال. سأل والدر آرثر:

- لقاء جيّد هذا يا آرثر، هل يمكنك إخبارنا بالضبط عن مكان القصر؟

أجاب آرثر:

- القصر خارج لندن، بجانب قرية هايبر على بعد كيلومتر واحد.

قال والدر للسائق:

- هيا توجه إلى هناك حالًا!

بعد ساعتين ترجّل الرجال من السيارة متبعين بليون وآرثر ووالدر، ومن السيارة الأخرى خرج نيفيل برفقة الفتية الثلاثة وقد كانوا بعيدين عن القصر قليلًا ولكن كانوا يلاحظونه بأعينهم، كان القصر كبيرًا ومهيبًا ومكوّنًا من ثلاثة طوابق من الحجر الرمادي السميك، وأسقف شديدة الانحدار تصل إلى أبراج حادة. وفي الطابق الأرضي مدخل القصر محمي بباب من خشب البلوط الصلب

بمفصلات حديدية سميكة، بينما يحتوي الطابق الثاني والثالث على نوافذ صغيرة تطلّ من الجدران الحجرية الملساء. من النوافذ يمكن سماع الأصوات والهمهمات بينما تمارس العصابة أعمالهم، على الرغم من أنهم لم يستطيعوا رؤية ما وراء النوافذ ذات القضبان المشددة ليروا ما يفعلونه هناك، تقدر والدر قليلًا وقال:

- لقد أخفى هذا الوغد قصره جيّدًا!

قال آرثر بابتسامة خبيثة:

- ليس للأبد فالآن سوف يتم اعتقاله أو قتله.

قال ليون حملًا سلاحه:

- يا رجال! خطتنا هي أننا سنتسلل من وراء القصر وإلقاء القبض على ذلك الحقير ولكن إذا تشابكتم مع أي من حراسه فاقتلوهم.

قال الكل:

- عُلم!

توجه ليون ناحية الفتية وقال لهم:

- وأنتم مهمتكم أن تذهبوا وتحرروا الأطفال في السرداب.

هز الفتية رؤوسهم بشجاعة فقال والدر:

- هيا بنا!

زحفت المجموعة بصمت على طول جدار القصر يتحركون كشخص واحد، وخطواتهم صامتة على الحصى وهم يقتربون من الباب الجانبي. رفع والدر قبضته يشير للآخرين بالتوقف... نظر حوله بعناية وتأكد من عدم وجود حارس أو حراس آخرين في المنطقة المجاورة. بمجرد اقتناعه بأن الساحل خالٍ

أشار إلى الآخرين ليتبعوه ويتسللوا إلى القصر عبر الباب الجانبي، وفور رؤية آرثر للباب الخلفي قال:

- لقد أصلحوا المكان بسرعة، يمكننا الهجوم عليهم من هنا.

ردّ ليون على آرثر بهدوء:

- أظن أننا سنفعل ذلك.

عدّ والدر لثلاثة بصمت وفتح الباب لكي يرمي ليون قنبلة ويختبئ على الجدار، سمعوا صوت الانفجار من الداخل وقال بعدها:

- اهجموا!

دخل الرجال إلى القصر من الباب الخلفي واشتبكوا مع الحراس بقوة، كان الفتية مختبئين بجانب الجدار، وهو يسمعون صوت طلقات الأسلحة وصوت صراخ رجل من هنا وهناك، حتى سمعوا صوت آرثر يقول لهم:

- الآن يا فتية، توجّهوا إلى ذلك السرداب، وحاولوا أن تحرّروا جميع الأطفال.

نظر الفتيـــة ناحيـــة البـــاب الحديدي الكبير ثم ترددوا لحظة جرّاء خوفهم، ولكن استجمع آرون شجاعته وجرى بكل سرعة ناحية ذلك الباب وتبعه توم وهاري، كان الباب قريبًا لهم والطريق آمنة بعد قتل معظم الرجال في الطابق الأول، في الجانب الآخر قال ليون لوالدر:

- لنتوجه إلى الطابق الثاني.

هز والدر رأسه وأشار بيده للرجال كي يتبعونهم. وفي نفس الوقت فتح الفتية الباب الحديدي ليصدر صريرٍ عالٍ... وقال آرون وهو ينزل من السلالم الحجرية:

- هيا، أسرعا!

تبع توم وهاري آرون وهم نازلين ليجدوا زنزانات عدّة، كان المكان أغلبه بدون

نور، رأى توم وهاري طفلًا في زنزانة الذي قال لهم بخوف:

- أنقذوني!

توقّف هاري وتوم ليحاولا فتح الزنزانة الأولى واستدار هاري ليجد آرون يقف مصدومًا وينظر إلى الجانب الآخر:

- ماذا هناك يا آرون؟

قال آرون بدون أن يلتفت ناحية هاري:

- شخص ما هنا!

سكت الفتية لفترة حتى ظهر من بين الظلام وجه فيلتون بملامح يملأها الغضب والخوف... سار ناحيتهم وقال:

- أعلم أنه سيتم إلقاء القبض عليّ هنا ولكن لن أترككم تعيشون.

كان الثلاثة منصدمين لرؤيتهم فيلتون لأول مرة وأيضًا من سماعهم لما قاله. كان الظلام غالبًا على هذا المكان الضيق سوى بعض النور المتسلل من الباب الحديدي في الأعلى، نظر فيلتون إلى الثلاثة وتوجّه إلى هاري ليسدد إليه لكمةً يسقطه أرضًا... قال توم عند رؤيته هاري يسقط أرضا متألما:

- هيا لنقاتله يا آرون!

سار توم وآرون اتجاه فيلتون بسرعة ليقفز آرون بكل شجاعة على وجه فيلتون يمسكه، وفي نفس الوقت يضربه توم بين فخذيه ليصرخ متألمًا، رمى فيلتون آرون الممسك بوجهه وضرب توم برجله ليسقط أرضًا، لكن هاري الذي تسلل من ورائه ضربه بعصا خشبية على رأسه ليسقط أرضًا دون حراك... سقط الفتية الثلاثة أرضًا وهم يلهثون. مسح هاري فمه من بعض الدماء ونضف توم وآرون ثيابهما المتسخة بالتراب وقال توم:

- لقد فعلناها! علينا تحرير لونا والأطفال الآن.

رد عليه هاري ناهضًا من الأرض:

- علينا تفتيشه، ربما يملك المفاتيح.

تقدم هاري وتوم وبدآ بتفتيش جيوب فيلتون حتى وجد هاري المفاتيح وقال:

- لقد وجدتها، هيا!

فور أن أراد توم أن يتبع هاري وآرن أمسكت يدان ما برجله لكي يرى بأن فيلتون استيقظ وقال:

- لن أدعكم تفلتون مني!

نهض فيلتون من مكانه ورفع توم من عنقه مستعدًا لخنقه، لم يستطع آرون وهاري فعل شيء حتى سمعا صوت إطلاق رصاصة. ساد صمت لثوان ليسقط بعدها فيلتون مجدّدًا مغشيًا عليه وهو ينزف من كتفه، نظر الفتية إلى السلالم الحجرية ليجدوا ليون وهو يرجع مسدسه إلى حزامه وقد قال بنفس الابتسامة:

- هل يجب علي دائماً أن أنقذكم؟

ضحك الثلاثة وجروا ليعانقوا ليون. وبعد ثوان قال هاري:

- لقد وجدنا المفاتيح يجب علينا تحرير لونا وجميع الأطفال من هذه الزنازين.

سمع الجميع خطوات أخرى تنزل إلى المكان ليجدوا والدر ونيفيل وآرثر برفقة بعض الرجال. لاحظ والدر فيلتون وهو ساقط أرضًا وقال وهو يصافح ليون:

- شكرًا لك، وأنتم أيضًا يا فتية.

التفت ناحية رجاله وأضاف:

- هيا، اعتقلوه واحملوه خارجًا!

سار رجلين ناحية فيلتون وحملوه للأعلى وهو لا يزال فاقدًا الوعي. توجّه نيفيل وآرثر ناحية الآخرين ليقول نيفيل:

- لقد فعلناها!

أضاف آرثر هو الآخر:

- نعم، بعد شهور عديدة.

كان توم وهاري وآرون حاليًا يفتحون الزنزانات لكي يخرجوا بعض الأطفال، وفي الناحية الأخرى يقودهم نيفيل للأعلى للذهاب بهم.حتى سمعوا صوت آرون يقول:

- إنها لونا تعالوا إلى هنا!

سمع هاري وتوم وليون هذا وتوجهوا بسرعة ناحية آخر زنزانة ليجدوا آرون يبحث بين المفاتيح وهو يقول للونا:

- لا تقلقي فنحن هنا!

فتح آرون الباب الحديدي بسرعة ليدخل مسرعًا ويعانق لونا التي كانت تبكي من الفرح والخوف، تبعه توم وهاري وعانقاها هما الآخرين.. وقال توم ضاحكًا:

- لقد اجتمعنا من جديد!

تعانقوا مجدّدًا والفرحة تكسوا وجوههم. وفي الجانب الآخر كان ليون واقفًا بجانب الباب وآرثر خلفه يشاهدان لمّ جمع شمل الأصدقاء الأربعة من جديد.

الفصل التاسع

- يمكنكم الذهاب الآن.

قال ليون للأطفال الأربعة بعد وصولهم لحي هولو نايت، ابتسم الأطفال وعانقوا ليون قائلين:

- شكرًا لك على كل شيء يا ليون.

ابتسم ليون وقال قبل أن يسير بعيدًا:

- مع السلامة، سأزوركم لاحقًا!

سار ليون مبتعدًا، وقف توم وهاري ولونا وآرون يشاهدونه وعلامات الحزن عليهم... قال توم لكي يخفف قليلا عن ما هم فيه:

- سوف نراه مجددًا لا تقلقوا.

ردّ هاري مبتسمًا:

- نعم، سوف نراه مجددًا.

أضاف آرون بفرح وهو يجرّ لونا من يدها:

- يجب علينا الذهاب إلى منازلنا، سوف أذهب برفقة لونا!

قال توم:

- وأنا سأذهب لوحدي.

أضاف هاري بابتسامة عريضة:

- وأنا أيضًا.

- وداعًا يا أصدقاء، نلتقي غدًا!

قال توم وسار داخل الحي مفترقًا عن أصدقائه، وبعد دقائق كان أمام باب منزله، طرق الباب وهو خائف من توبيخ أمه له عند ذهابه من المنزل دون إخبارها. ولكن بعد ثوان عديدة فتحت مولي الباب وفور رؤيتها لتوم عانقته بشدة وهي تقول:

- لقد قلقت عليك كثيرًا يا توم، ظننت أنهم اختطفوك حتى أنت!

قال توم وهو يكاد يختنق من عناق أمه الحار:

- أمي سوف أخبرك بكل شيء!

قالت مولي بعدها بحِدّة:

- سوف تُخبرني بكلّ شيء حدث لك، ولكن ادخل أولًا.

دخل توم إلى المنزل وفور رؤيته لأخيه الصغير ذهب ليعانقه ويعطيه بعض القبلات الأخوية ثم جلس بعدها على الأريكة مقابلًا أمّه، وفور رغبته بدءَ الحديث سمعوا طرقًا قويًا على الباب، ثم سمعوا صوت رجل يقول:

- مولي؟ توم؟ افتحوا الباب، لقد عدت!

قفز توم من مكانه فور سماع صوت أبيه الذي لم يرَه منذ أشهر عديدة، جرى ناحية الباب يفتحه بسرعة ليرى أباه واقفًا يحمل بعض الأكياس، رمى الأكياس على الأرض وعانق توم بحرارة ويقول:

- لقد اشتقت إليك كثيرا يا بني، وأردت أن أفاجئكم بعودتي دون أخباركم.

ردّ عليه توم وهو ما يزال يعانقه وبعض الدموع على وجهه:

- أشتقت لك كثيرا!

دخل بعدها والد توم إلى البيت بعد أن عانق كل أفراد أسرته الصغيرة، ارتمى بجسده على الأريكة متعبًا... جلس توم أمامه قائلًا:

- أريد أن أقول لك عن مغامرتي يا أبي، ولكن لا توبخني على ما فعلته.

هزّ الأبُ رأسه بابتسامة وقال:

- نعم، تكلم يا بني أنا أسمعك.

سكت توم قليلًا وبدأ قوله بجملة:

- لقد بدأ كلّ شيءٍ عندما كنتُ مُلاحقًا من طرف الشرطي فريكسبي...

لندن

أكتوبر 1888

صوتُ خطوات المارّة على الرصيف الحجري، وأصوات صرير العربات الخشبية والسيارات المزعجة، كان كل هذا في شارع ما في لندن وكان بين كل هذا الضجيج طفلٌ في عَقدِه الأول يمشي بين المارة ويحمل الجرائد ويقول:

- جرائد! جرائد! بنسين لواحدة! من يريد شراء واحدة!

استمر الطفل في تكرار كلامه حتى تملكه التعب وتحدث مع نفسه قائلًا:

- أظن أنه يجب علي العودة للمنزل!

وضع الجرائد في مِحفظته الجلدية المرقّعة وسار متّجهًا لمنطقة (وايل تشابل). بعد مدة يسيرة من المشي وصل إلى المكان وفور دخوله الزقاق اتسعت عيناه رُعبًا ووقف منصدمًا يرى أمامه جثّةً ملقاةً على جانبِ الحائط، لسيّدة في الأربعينات من عمرها... داخل هذا الزقاق الضيق والمتسخ حنجرةً مَقطّعة وبَطن مشرّح بدقّة واحترافية، هذا كل ما رآه. وفي الحائط المقابل لها كُتب بالدم عبارة:

"من الجحيم"

يقتُلُ النساء

يُقطِّعُ حناجِرَهم

قاتلٌ متسلسل،

هل سيكون رجُلًا؟

أم شيطانًا؟

خاتِمَة

أهنئك يا قارئي العزيز على إكمال روايتي وأريد أن أوجّه لك رسالة شكرٍ على اقتنائك لهذه الرواية، وأيضًا أن أوجّه رسالةَ شكرٍ لكلّ أصدقائي الأعزاء الذين ساهموا وكانوا سببًا بعد الله في نشر روايتي... وأخيرًا وليس آخرًا؛

لا تظنّ أنّك لن تراني من جديد، فأنا لن أعطيك رواية واحدة واذهب بل سوف أفعل العكس، لنلتقي مجدّدًا مع رواية جديدة يا قارئي، مع السلامة.

بحمدِ الله